الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# لا شيء تقريبًا

عبد اللطيف اللعبي

ترجمة: محمد خماسي

عنوان الكتاب باللغة الفرنسية:

*Presque Riens*

ترجمة عنوان الكتاب باللغة الإنكليزية:

*Almost Nothing*

*By Abdellatif Laâbi*

الطبعة الأولى: يناير ـ كانون الثاني، 2023 (500 نسخة)

Arabic Translation Copyrights@Dar Al _ Rafidain 2022

(C) جميع حقوق الطبع محفوظة/ All Rights Reserved

حقوق النشر تعزز الإبداع، تشجع الطروحات المتنوعة والمختلفة، تطلق حرية التعبير، وتخلق ثقافة نابضة بالحياة. شكراً جزيلاً لك لشرائك نسخةً أصليةً من هذا الكتاب ولاحترامك حقوق النشر من خلال امتناعك عن إعادة إنتاجه أو نسخه أو تصويره أو توزيعه أو أيٍّ من أجزائه بأي شكل من الأشكال دون إذن. أنت تدعم الكتّاب والمترجمين وتسمح للرافدين أن تستمرّ برفد جميع القراء بالكتب.

بغداد ـ العراق/ شارع المتنبي عمارة الكاهجي

تلفون: 009647811005860/009647714440520

www.daralrafidain.com
info@daralrafidain.com
daralrafidain@yahoo.com
Dar ALRafidain دار الرافدين

daralrafidain
dar.alrafidain
dar_alrafidain
daralrafidain دار الرافدين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى جوسلين

لبقيّة الطّريق

وإلى الما بعد

Post horizon.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## عيسى مخلوف

يقف عبد اللطيف اللعبي، في هذه المجموعة، على شُرفة مُطلّة على المدى الواسع وعلى تقلُّبات النّهار والليل. يلقي نظرة إلى الأمام وأُخرى إلى الوراء. إلى ما جاء وإلى ما سوف يأتي. يستشرف الآتي ويستشعر جبلَ الجليد الذي سترسو عند سفحه سفينتُه المُبحِرة، مُدركًا أنّ الوقت سيظلّ يتدفّق من بَعده، «الوقت الذي يأكل الحياة»، وفقَ شارل بوذلير.

قصائد هذا الديوان هي قصائد الحَصاد التي اهتدى بها كاتبُها إلى ما هو أثمن من الأيّام التي تمضي: الكتابة. الكتابة كاسترجاعٍ للحياة. يكتب عبد اللطيف اللعبي «كي لا يتعفّن/الجسد والروح/ قبلَ القطاف*». كأنّ التوقُّف عن الكتابة، هنا، هو توقّف زمنه الشخصي، وهو الموت قبل أوانه.

لقد حلّ المساء ولا بدّ من جردة حساب في ضوء الشعاع المُتبقّي، كما فعل نيكوس كازانتزاكيس في كتابه «تقرير إلى الغريكو». في قصيدة «أشرعة الطفولة»، حيث «الطفولة تدنو/وتنأى»، يتذكّر عبد اللطيف اللعبي صوت «السجين الذي كُنتُه/وحيدًا في الزنزانة». وفي قصيدة «الرحيل»

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تراوده صورة عوليس العائد إلى إيثاكا وهواجس الشيخوخة، «بينما الرّحيلُ هذه المرّة/بالنسبة إليه/ له رنينُ ناقوس الموت/فلا تِيهَ هناك/ولا أمل في العودة». هكذا يبحث الشاعر عن سيرته الذاتيّة في اليقظة والحلم، في الواقع والأسطورة، وفي توقه إلى الحرّيّة. يبحث عنها في المنفى أيضًا. ليس المنفى بالمعنى الجغرافي فحسب، بل منفى الروح التائهة الذي يحمله كلٌّ منّا في داخله. في حديثه عن سيزيف، يحكي اللعبي عن انتظار «بلا نافذة/ بلا نجمة بين العينين»، وعن الوهم «لإرباك وحش اليأس». يعود بنا إلى تلك الليلة التي غارَ فيها «السكّين في العنق». سكّينُ مَبعوثٍ «تفوح منه رائحة الشراسة/التي ينفرِدُ بها الكائن البشريّ». إنّها صورة الكراهية التي تأتي من أزمنة سحيقة كأنّها وُلدت تَوًّا، ما يستدعي بناء ملاجئ تحمي منها على غرار الملاجئ التي تحمي من قصف الطائرات والأسلحة النوويّة.

ينظر عبد اللطيف اللعبي حوله ويرصد ما بقيَ وما انقرض، أو ما هو في طريقه إلى الانقراض، في ما يتّصل بالفصائل الحيوانيّة أو بالنوع البشريّ. إنّها نظرة إلى الإنسانيّة التي تتحرّك، أكثر من أيّ وقت مضى، على شفا سَديم. والحال هذه، كيف لا تمتلئ قصائده بالقلق؟ القصائد التي تتحرّك في كواليسها تحوّلات العالم المعاصر وتحدّياته، ومعها يتَغَيُّر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المعنى الثقافيّ، ومن ضمنه معنى الشعر.

تُمسِك قصيدةُ اللعبي عَصَبَ الواقع اليوميّ وتأخذه إلى مكان آخر. ثمّ تلتفت إلى السلام كمن يبتهل إلى قوّة إلهيّة لا زمنيّة: «أيها السلام. أحِنُّ إليك/نَحِنُّ إليك/تَحِنُّ إليك/هذه الإنسانيّة الضائعة/وهذا الكوكب المعذَّب/وحتى هذا الكون البعيد الغَور/وغير المُكترث/أيُّها السلام/مُدَّ لنا يَدَك».

في هذا النشيد الشعريّ، يذهب اللعبي أبعد من السيرة الذاتية. يذهب في اتّجاه رسم المسار الداخلي للكائن. لكنّه لا يُخفي حسراته الكثيرة ومنها أنّه لم يتعلّم اللغات التي تسعفه على التحدّث الى النجمة والطيور، ولم يعش حياةً بديلة «عوض الحلم بها»، مع أنّه يؤمن بأنّ «الحياة الحقيقيّة غائبة»، كما قال «العابر الهائل بِنِعال من ريح».

من هذا الموقع بالذات، يَحضر ما يتجلّى في الطبيعة ويجعل قلبَ اليائس المُنكسر مُفعمًا بالرجاء: شَغَفُ البحثِ عن المُطلَق، الأُنثى ومعها شمس الحبّ. تَحضر «صديقته الوفيّة القديمة/ الشجرة»، وبرفقتها النحلة والنملة. هذا الإحساس بالكائنات والأشياء يجعله أكثر تمسّكًا بها لفرط ما يشعر بأنّها مهدّدة بالزوال.

بين مُستَهَلّ المجموعة وكلمة الختام رحلةٌ لا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تتوقّف. في ليل العالم اللّامتناهي، تحت سماء تومض فيها ملايين الكواكب والنجوم، يصبح للسفر معنى جديد وللطائر المُنهَك جناحان آخران. يقول عبد اللطيف اللعبي: «وداعًا أيّها الشاعر»، متمنّيًا له «سفرًا سعيدًا» إلى الوجهة التي اختارها، لأنّه يعرف، في أعماق نفسه، أنّ الوجه يغيب ويبقى جماله. ينطفئ المصباح ويبقى النور، النور الذي هو الاسم الآخر للشِّعر.

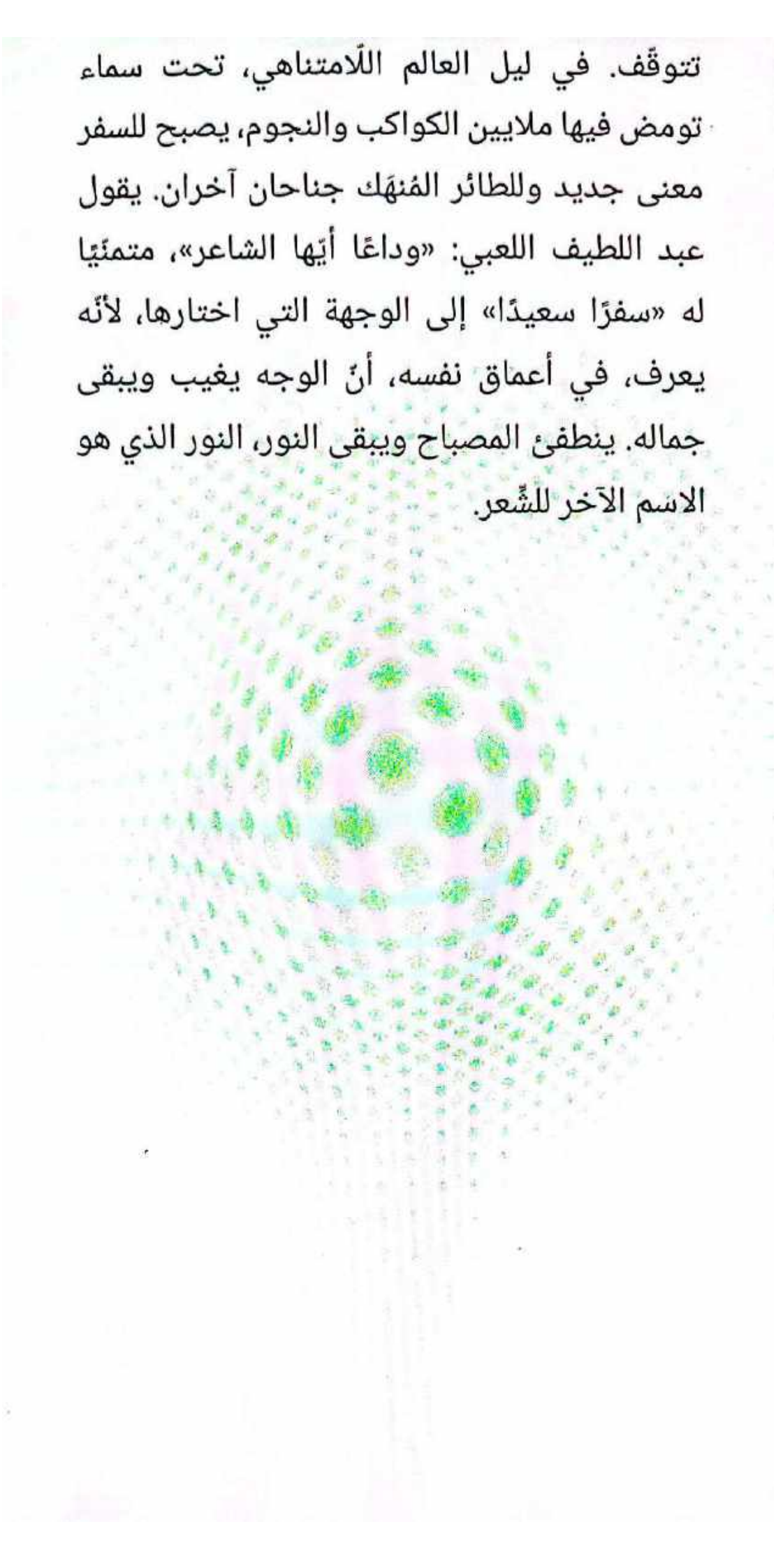

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# إشارات

أوجَزَ الدّهرُ في المَقالِ إلى أنْ

جَعَلَ الصّمتَ غايَةَ الإيجازِ

أبو العلاء المعرّي»، اللّزوميات»

وَقالَ لي في الْوَقْفَةِ عَزاءٌ مِمّا وَقَفْتَ عَنْهُ وَأُنْسٌ مِمّا فارَقْتَهُ.

النفّري»، موقف الوقفة»

نمضي وتبقى العيشة الراضيه

وتنمحي آثارنا الماضيه

فقبل أن نحيـــا ومن بعدنـــا

وهذه الدّنيا على ما هيـه

عمر الخيّام»، الرباعيات»

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# أمام المِرآة

صوْتي

لا يَنِي يُردِّدُ على مسامعي:

لستَ مُجْبرًا أن تكتُبَ

وهُو مُحِقٌّ تمامًا

لكنّها يَدي

لا تنفكُّ

تُساوِرُ الصّفحة

بِما أنّ اليدَ قصيرةٌ

أُدَوِّنُ هذي النُّتَف

كي لا يطالَ العفنُ

الجَسَدَ والرّوحَ

قَبْل القِطاف

أنّى حَلَلْتُ

يُلازِمُني الخطر

أيُّ طريدةٍ أنا

وَلِأيِّ مُفتَرِس؟

كَم من قضبانٍ تُسَوِّرُني

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بينما أنا

على ما يبدو

حُرٌّ كالهواء

لكثرة ما لعبتُ بالنّار

أحرقتُ أصابعي

وأجْنِحَتي

وذلك العُضْو

المَوْصوف بـ»العَوْرَة»

في لُغتي الأُمّ

كي أتخلّى عن أحلامي

يلزم بدايةً أن أجِدَ

الفرْدَ

أو الشَّعْبَ

الذي أستودِعُها إيّاه

بكُلّ اطمِئنان

الآن

عندما أخْطو

أشعُر أنّ الحياةَ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تَحتضِنُ يدي

كما لو كنتُ

طِفلًا

في ما مضى

كنتُ أكْدِم روحي

أمّا اليومْ

فعند أدنى صدمةٍ

تَظْهَرُ الكَدَمات

على جِلْدي

أنام داخل جسدي

وأستيقظُ

بِجانبه

أشعرُ بالوحدة

في أحلامي

فُرَصُ الضّحك مع الآخرين

أضْحَك نادرةً

لذا أُضْحَك

مع نفسي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رويدًا رويدًا

تُغادِرُني اللّذّات

أراها تبتعِدُ

بابتِسامةٍ ساخرة

أمام المرآة

يمنعُني شُرودي المُمْعِن

مِنْ أنْ أتَبيَّنَ حقًّا

صُورَتي

مُذْ كنتُ صغيرًا

جالسًا على دَكَّةٍ من حَجرٍ

أو مُستلقيًا على غيمةٍ

كنتُ أتتبّعُ الرّائح والغادي

بَشَرًا وبهائمَ

مع إحساسٍ ثقيلٍ لا يتحمّلهُ عُمُري

بأنّني غَيْرُ مَوْجود

السؤالُ الدّائم

طُرِحَ عَلَيّ مؤخّرًا من جديد:

لو عادَتْ عَقاربُ الحياةِ إلى الوراء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ماذا كنتَ ستَختارُ أنْ تكون؟

امرأةً، قلتُ، بعفوية مُدهشة

راعٍ

بُستانيٌّ

سَرّاجٌ

بَرّاحٌ

ناسِكٌ

عالمُ فيزياء فلكيّةٍ...

كَمْ موهبةً أضغتُ!

يَدي المَمدودة

يَدي المَفتوحة

وهي تنْغَلِق

على الفراغ القارس

حياةٌ بَديلَة

كما سَبَقَ أن اقْتَرَحْتُ

ثمَّ، لِمَ لا

موتٌ مزغوبٌ فيه

ولكنَّ الأمثلَ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأكثر إنصافًا

هو أن يَختار المرءُ

بين أن يُولَدَ

أو لا يُولَدْ

تَبًا للسعادة

إنّي أسبحُ أفضل

في موجِ

الوَهَجِ الهارب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# لِتَكُنِ المُعْجِزَة!

هذا الصّباحُ

أشرقتِ الشّمس

ربّما بِمِزاجٍ عَكِرٍ

أُفٍّ... يا لِلْبَردا

بما أنّنا بصَددِ

«الصّفحة البِكْر»

أتَكون الكتابة

اغْتِصابًا؟

الصّمْتُ

ليس أغْنى من الكلام

لكنّه أرَقّ

التاريخ يُصْنعُ أيضًا

من العَجينِ

والخَميرةِ

والمِلْحِ

ومن ماء النّسيان الفاتِر

آهٍ! الذاكِرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمينَةٌ

خادِعةٌ

وهي تعمل كشاعِرٍ

يُترْجِمُ شاعرًا آخر

الكلمات هي الأُخرى

تَعْرِفُ كيف تحفظ الأسرار

وتلك سيرة الشّعرِ أيضًا

انْقَضى زمن النّبُوّة

والسبب:

تَلَفُ اللّغة

وَقائعُ التاريخ الصّغير

اسْتَوْطنتْ

التاريخَ الكبير

لا سَبيلَ إلى السّكينة الحقّة

إلاّ بعد أن يكون

هاجِسُ

الأثَرِ اللّعين

قد انْدثر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الموتُ

ليس نهايةً

ولا بِدايةً

إنه مُجَرّدُ اختفاء

قُضِيَ أمْرُهُ

غالبًا

ثَمّةَ رغبة في رَتْقِ

ما أصاب الإنسانيةَ

من مَزْقٍ

ولكن أنّى لنا الخَيْطُ الجيّد

ذو اللّون اللاّئق

حتى لا يذهبَ العملُ سُدى؟

الذين يَدوسونَ

على أجساد الآخرين

لا يُدركون ما يفعلون

فسَخطُ الغيرِ

وخسفُهم

يمنحُهم أجْنِحة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في هذا الجحيم

لم يعُد هناك من شُهود

سوى الجِرْذان والكلاب

والحجارة والرّيح

وفي العلْياء

النّجوم

على وشْك الهَلاك

شمسُ الله

تَسْطَعُ

على القُبور

رغم ذلك

كانت للأرْض

أُغْنيّتها السّاحرة

الحَماسِيّة

كانت على كلّ لسان

أيّام كان العبيد

يُكَسِّرون أغلالهم!

كانت ثمّةَ أحلامْ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تَفوقُ الخيال

سِحْرُ المُداعبات

لتلْك اليد

النّداءُ الجارف

من الحياة إلى الحياة

كان هناك الحُبُّ

الجنونيُّ ـ المُقدّس

يجتَثُّ القلب

ويُحدِثُ حُروقًا بليغة

في اللّسان والأعضاء الحَميمة

كان ثمة الوِدّ والأُخُوّة

الرّأفَةُ، التّكافُلُ، والعَطاءُ

كانت هناك شُعوب تهُبُّ

مثل رَجُلٍ واحدٍ

كان

أجَل، كان ذلك

أيّام زمان!

الانتظار

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دُودَةٌ في فاكهة الأمل

والدّودة تَقْضِمُ

وتقْضِمُ...

كم يَلْزم والحالة هذه؟

مِئة سنة

ألف سنة

لِيظْهرَ السُّنونو

أو اليَمامة

ولِمَ لا الهُدْهُد؟

ولْتَكُنِ المُعْجِزة!

أما مِنْ أحدٍ هنا

ليُطْلِقَ زَفْرَةً

ويطْوي الصفحة؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# على سُلّمِ الوَهَن

أرَقُ الصباح

الألم استيقظَ

قبل العصافير

وفي دِفْءِ السّرير

يُمزّق الأحشاء

الموت

دَفعَ الباب بعُنْف

ومَبْعوثُهُ

تفوح منه رائحة الشّراسة

التي ينْفرِدُ بها الكائن البشريّ

غارَ السكّين في العنق

دون أن يُؤلِمَ حقّا

كان الفم يمْتَلِئ دَمًا

والعينان تنْطفِئان بثُؤَدةٍ

المُضَحّى به لم يَرَ حياتَهُ

تمُرّ كلّها أمامه

في بضع ثوان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خامَرهُ فقط

شعورٌ... بالسُخف

لم أعُد

الشّخصَ أو الكائنَ

السّابِق

أصبحتُ مَنْ الآن؟

أيَكونُ جزءٌ من إنسانيّتي

قد انْسحَبَ مِنّي

ولِيُعوَّضَ بماذا يا تُرى؟

جَوْهرُ الوَحْشِ

قد دَبَّ في جسدي

والوحشُ يزْدَهِرُ

أشعرُ في عنقي

بفولاذ قبْضتِهِ

وفي حنجُرتي

بنَتانَة أنْفاسه

ولُهاثه العطن

يصعبُ عليّ رفعُ الخِنْصر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبالأحرى السبابَة

لأشيرَ إلى الشّر

وأدينَ الدّناءة

أتنفّسُ

بتُؤَدَةٍ

دون ضجيج

كي لا ينْفَضِحَ حضوري

كي لا أُظْهِرَ أيّ شيء

من قَرَفي الغائر

قطرةُ ماء

مُجرّدُ قطرةِ ماء

تعرف بالملموس

أخسنَ مِنّي

مَعْنى الامْتِلاء

أعْجَبُ لقُوة النّفلةِ

وعنفوان الفراشة

وجُزأة الذُّبابة

في سُلّمِ الوَهَن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أوجَدُ في أدنى مَرتبَة

لا أختَبِئ بعدُ خَجَلًا

لكنّي أبْتعِدُ

عن المَنابر والحُشود

عن الشَّجارات والأهْواء

وتَمَرُّدي

ما عاد يهُمّ سِواي

تعلّمتُ أن أضمُتَ

أن أُنصِتَ

قدر المُستطاع

ولمُحاربة المَلَلِ

مَرّنْتُ أذني

على السّهْو

أُفكّرُ

إذن أنا غائب

ولا أهِلُّ

إلّا في ما بعد

عندما أمشي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بخَطوٍ أقلّ وُثوقًا

تَستَبِدُّ بي فكرةُ

أنْ أذوبَ في ظِلّي

مُؤسِفٌ أنْ يكون البَرْزَخُ

من نسج خيالِ ديانةٍ ما

أراهُ مكانًا مُناسبًا لي

في هذا الوقت

في مقْدوري أن أكون

في حالة سائلٍ أو صُلْبٍ

وأكْتَسي

أيّة هيئة عابرة:

خانَة صغيرة

في طبَقةٍ من الفضاء

طرف خيط

في شبكة اللّانهائي

ورَقة عارية

نِصفُها مذفون في الرّمل

تائهًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في أفكاري

أبحثُ عن درب

الزّمن

حيث كُنَّ غريراتٍ

وجميلات

أستقبِلُ السّاعات بِأدَبٍ

أدعوها للجُلوس

وأجلسُ قُبالتَها

وبعد شفائنا من الثّرثرة

ننظُرُ من النّافذة

وننْصِتُ بخُشوع

لِصَوْتِ الشلّال

فصوت النّهر

ثمّ صوت المُحيط

يكْفيني اليومُ

وحُزْمةُ آماسِ

فلِمَ أقلق

على بَغدِ غَد؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من ضُغفي

في أسفلِ السُلّمِ

رتّبتُ مزصَدًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# نحو الضفّة الأخرى

أعرفُ أين يُفضي

هذا الطّريق المَزسوم

باليَدِ الفولاذيّة

المَغْمور

في مَصْهَرِ الظّلمات

أعرف ما تَغنيه هذه الجُذران

من ماءٍ مُتجمّدٍ وطين

وهذا الفراغ الموزون

والملْموس

وهذا الصّوت الآفِل

الهارب من السّراب

وهذا الهواء

الّذي بالكاد نتَنفّسُهُ

وهذه الآلام

الّتي تشحذُ شراستها

على ظاهر الجسد

وباطِنه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أعرفُ

إلى أين يجرفُني الموج الأبكم

أتخَيّلُ أزصِفَةَ

الضّفّة الأخرى

حيث اللّيلُ

لم يَعُد يُفرِزُ النّهار

وحيث العيونُ

مفتوحةً كانت أم لا

تَكُفُّ عن الرُّؤية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# فَتْحُ الجسد

أتناول

من عُلبة الأدوات

ما يَفي بالغرض

(مِشرطًا، خيطًا جِراحيًّا، لِصاقًا...)

وأفتح جسدي

الأعضاء في مكانها تمامًا

ليس هناك لونٌ مُريب

الدَّمُ يجري

بلا ضجيج

حَجْمُ الدّماغ

أذنى من المُتَوقّع

وحجم القلب

في الحدود العادية

أبحثُ، وأبحث

ماذا تُراني نَسيتُ؟

أنا هنا

وذراعاي مُتدلّيتان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمام جسدي المفتوح

دون أن أذري

كيف سأقوى

على لَمْلَمَتِه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# انقراض اللّغة

خَلْفَ الجدار

في العالم المُجاوِر

ألْمَحُ ظِلّي

ثمّ طيْفي

أراني جالسًا

كما أنا الآن

بَيْنَ بايَيْن

ومَمَرّين

في هيئةٍ خادعة

أمامي شاشة

تعرض نصًّا

لا أفهم كلماته:

اللّه... الحياة... الموت...

المال... أمس... الرّجُل...

اليوم... المَرأة... غدًا...

العمل... الحرّية... السّلْم...

الحرب...

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكلمة... «يعني»

مُكَرَّرَةً ألفَ مرّةٍ

«هَزْج ومَزْج»...

تروقُني هذه العبارة

رغم ما يعتري معناها من غموض

خَلْفَ الجدار

في العالم المُجاوِر

أظنّني أعرف ما يجري:

أنا شاهدُ عيان

على انْقِراضِ اللغة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# حُلم وأخلام

آناءَ اللّيل

أتلقّى إشاراتٍ مُضيئةً

شُحناتٍ كهربائيّةً خفيفةً

ثمّة مَن يحاول

استدراجي

داخل حُلمِه

أتردّد في الانسياق

رغم أنّي أعرِفُ

أنّ المجهول

يكْمُنُ في الواقع

أكثر مِمّا في الحلم

يحينُ الفجر

ولم يَغْمَضْ لي جفن

تبًّا!

ما لي ولأحلام غيري

إذا كانت أحلامي

آه منها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# عذابًا في عذاب!

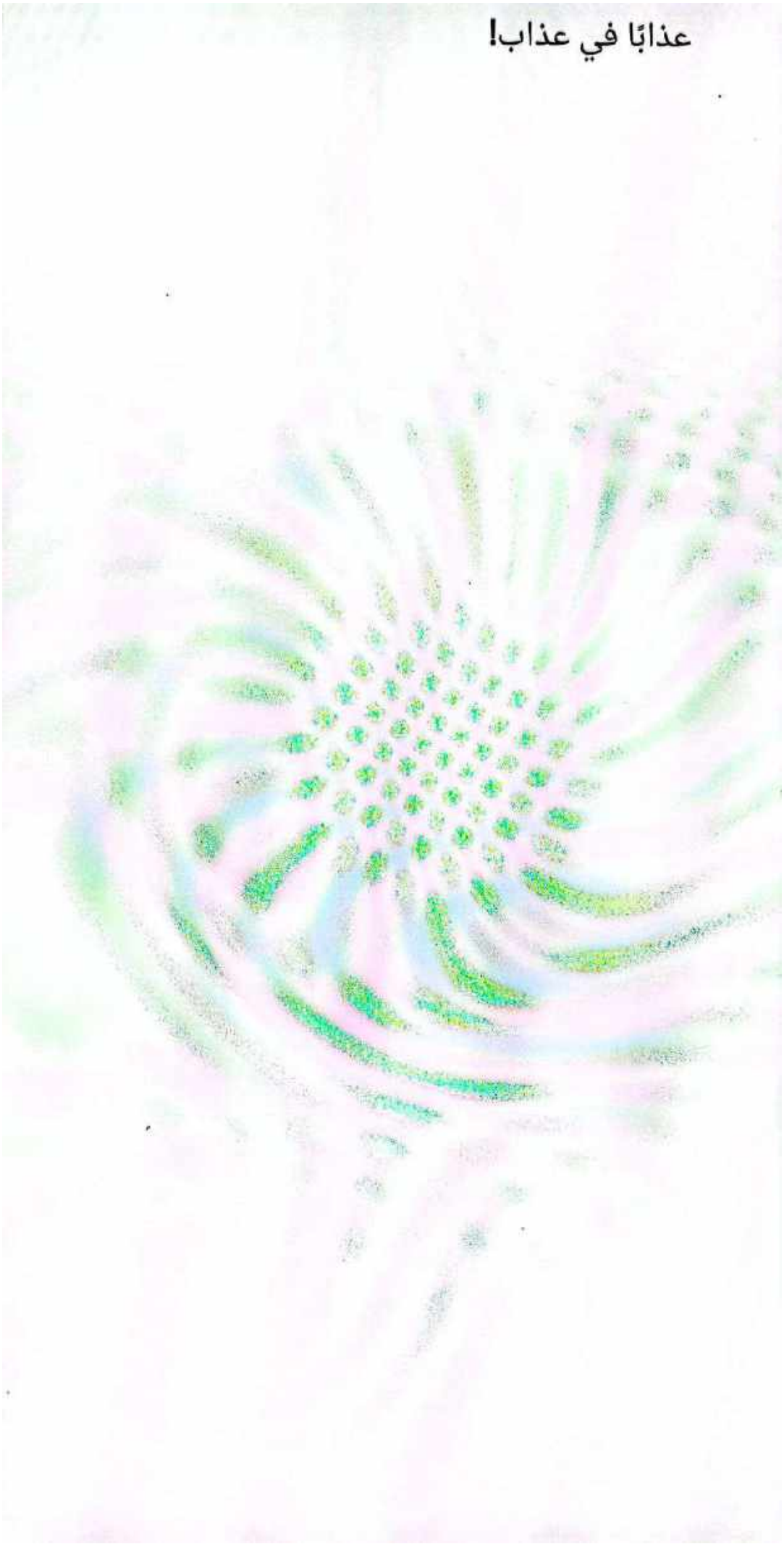

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# شعور بالذّنب!

كُلّما همَّت ضحيَّةٌ

أيًّا كانت

بالكلام

لتَعْرِض

عَذابَها

أشْعُرُ بالذَّنب

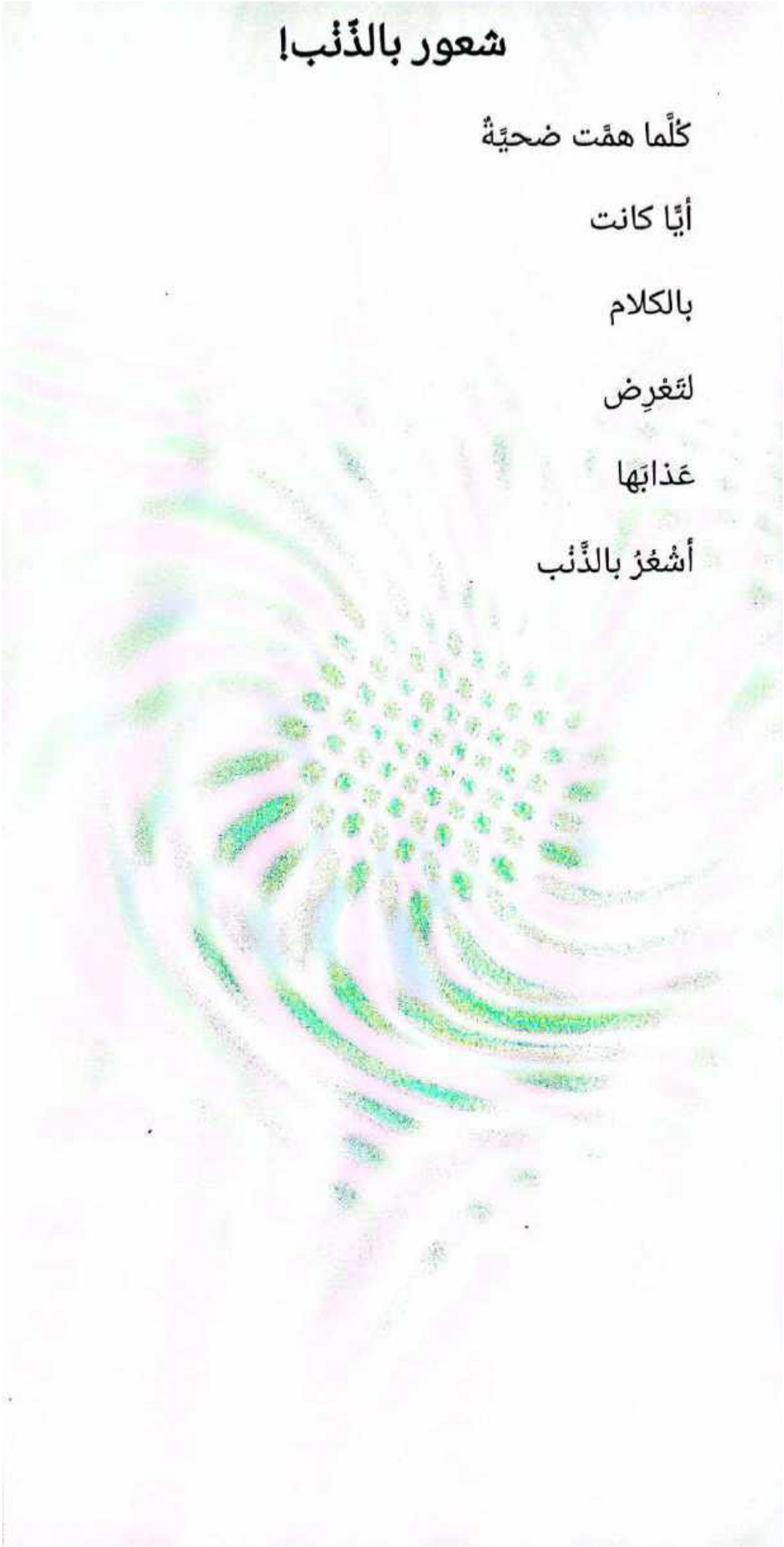

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# أشرِعَةُ الطّفولة

الطّفولة تذنُو

وتنأى

الخيمرُ

أكْبُرُهُ قامةً

مِشْيتُه تُحاكي مِشْيتي

وصوْتُه يُذَكِّرُني

بصوْت السّجين الّذي كُنْتُهُ

وحيدًا في الزّنزانة

مطرٌ... مطر...

شمسٌ... شمس...

المَرْكَب يغادر الرّصيف

شراعٌ أسود

شراعٌ أبيض

لا دموع

لا استِسْلام

دَوّامةٌ من غضب

تنبعثُ من الأعماق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإعصارُ يتهيّأ

يا لَلمَرْكبِ المسكين!

الطّفولةُ تَذنو

وتَنْأى

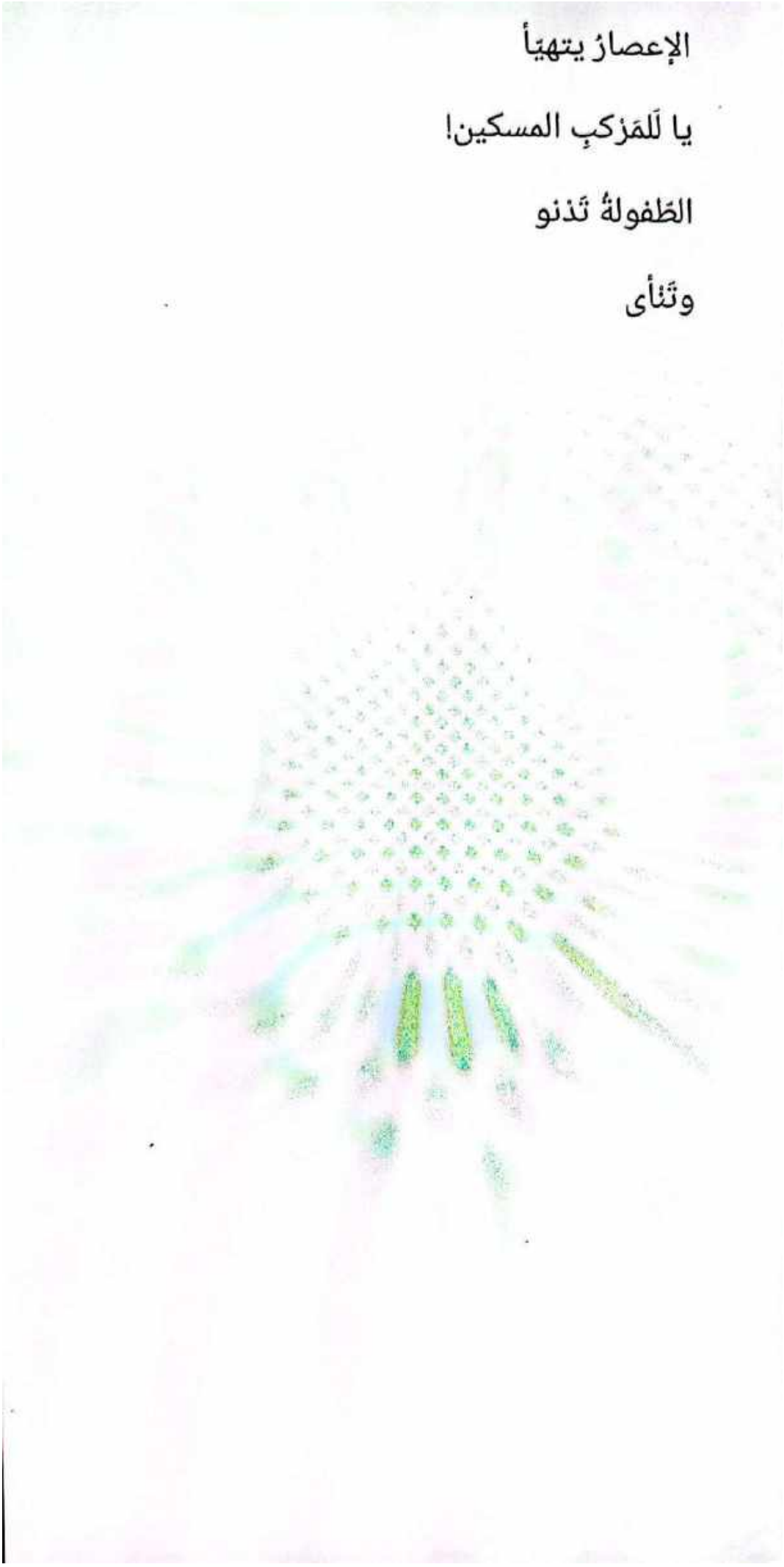

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# وخدَتي

أكتشفُ الوحدة

لا، لا

ليس العادية

الّتي أُشبِعَت تفحيصًا

وذُرِعت طولاً وعرضًا

إنّها حالة نفسيّة

لم أصادِفْها عند غيري

ولا حتى في الكُتُبِ

وحِيال أمرٍ كهذا

لا حَولَ

للصّداقة ولا للأخُوّة

ولا للحُبّ

وهذا الشّعور

لا يَحولُ دون الكفاح

من أجل مُثُلٍ نبيلة

لا يمنع الفرح

ولا الضّحك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا التّكافل

ولا فورة الحواسّ

لكنّه يُرهق

في كلّ شهيق

في كلّ زفير

في كلّ نظرة إلى السّماء

أو إلى الأفق

في كلّ كلمة تُسَطَّرُ على الصّفحة

إنه يُشبهُ سنّارة

عَلِقتَ في الحَلْق

ووجَبَ مع ذلك الاستمرار

في الأكل والشّرْب

أطلب صَفْحَكم

يا أحِبّائي!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الشِّعر أتقذّني

إلى حُدود الآن

الشِّعرُ أنقذَني

لكنّي أتَفَهَّم

أنّه قد يمَلُّ

من نداءات الاستِغاثة

حتّى من خُدّامِهِ الأوْفِياء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# في ميزان الرّوح

استطعتَ أخيرًا أن تَنفلِتَ

من قبضة اللّيل

تختفي بانْبعاثِكَ

بقهوة ساخنة

وفطيرة بالشكولاتة

خَرَجَتْ للتّوّ من الفرن

تُهاتِف صديقًا

تِلْوَ آخر

هكذا

فقط لِتُعلن لهم

أنّهم دائمًا في الذّاكرة

وأنّك حيٌّ

لا تزال!

تفكّر بِحَنان

في رسّام القدس(1)

الّذي شُيِّعَ

أمسِ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في بِرلين

ثم ترعى بناظِرَيك

ضوءَ هذا الصباح

الأندلسيّ المَلمح

وأزرقَ السّماء العفيف

أهدابَ شجر المُران الشّاحبة

وقد هدّها القيظ

وكم مرّة

صورةَ أُمّك

الزّمُرُّدة المرصّعة

في الجدار المُقابِلِ

حُزْنٌ وصَفاءٌ

مُنْصَهِران

في ميزان الرّوح

وزْنُهما بِوَزْن الذهب

الخفيف

الخفيف جدًّا...

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# دَرَجةٌ أغلى من الحياة

عليك أن تَغيبَ

لِتُدرك الحضور

لا أن تمشي

بل أن تَطير

وتُعانق من جديد نَكهاتِ الجسد

جسدِك أوَّلًا

وجسدِ الحبيبة

أن تتنفّس تحت الماء

داخل فوّهة البُركان

أن تجتاز جِدارَ العقل

وبنَفَسٍ واحدٍ

تفتَح الأقفال السّبعة

لعُلبتِكَ السّوداء

في كلّ وقفة

تغرس غابةً بِكرًا

من أشجار المعرفة

والشّكّ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والافْتِتان

أن تؤلِّف

من أزهار الذّكاء النّادرة

إكْسيرَ العطاء

أن تُضاهي عمالقة

الحِكايات

الّتي هَدْهَدَتْ طفولتَكَ

عليك أن تَعيشَ حقًّا

دَرَجةً أغلى

من الحياة

خارج الهباء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# دُعاء

عَسى

أن يُصادِفكَ طفلٌ في الطريق

فَيُسبِغُ عَلَيْك

ابتسامةً فصيحة

امرأةٌ

غير مُدرِكَة لِبَهائها

تُلقِّنُك

وهي عابرة

قصيدة عِطرِها

صديقٌ

مات منذ سنين

يبزغ في النّاصية

ويرتمي بين أحضانك

عصفورٌ

من فصيلةِ بادَث

يَحُطّ على شبّاك نافذتك

ويشرع في الحديث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما في الحكايات المدرسيّة

الياسمينُ

الّذي أقْلقكَ

خلال الشّتاء

يتفتّق ولو عن زهرة

هذا الصّباح

عَسى

أن لا تَحُلّ أيّ كارثة

ما بين بداية حلم اليقظة هذا

والنّهاية

الّتي يؤول إليها

فتكون قد انتَصَرْتَ

ولو بقِسْطٍ صغيرٍ

على حياتك

مؤقوفَة التّنفيذ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# امتِياز

امتيازُكَ الوَحيدُ

أنْ تَتَلَذَّذَ بالصّمت

جالسًا أمام الصّفحة البَيضاء

أو المُخَرْبَشة

وتَحلُمَ كَما يَحلُو لَك

أنْ تَختارَ من بين أذنى

ما يَمْثُلُ أمامك

ما يَستأهِلُ التمَحّصَ

والتّنشُّق

والمداعبة عن بُعدٍ

فيما

تظلُّ الابتسامة

مرسومةً على شَفتيك!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# إزهاصات

في أنامِلِكَ

وَخْزٌ لذيذٌ

كَما لَوْ أنّك

تَتَهَيّأُ للعَزْفِ على البيانو

كالفَتى مُوزارْت

عِلمًا بأنّك لا تكاد تَفْقَهُ شيئًا

في فَكِّ النّوتات

كَما لو أنَّ يَدَكَ

انْزاحَتْ للتَّوِّ

عَنْ نَهْدٍ مُذْهِلٍ

بَعْدَ أنْ بارَكَتْهُ

بِأُبَّهَةِ أُمَّهاتِ الشَّعائر القائمَة

كَما لَوْ أنّكَ مَكان أبِيكَ

داخل دُكّان السِّراجَةِ في فاسَ

ويَوْمُ العمل قد انْطَلَق

ستَقْطَعُ وتُلْصِقُ وتَخيطُ

وتَقْرِطُ وتَضبَغُ وَتُجَمِّع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بمهارةٍ تُضاهي مَهارتَه

مهارةَ أبيه وأبِ أبيه

وهُما مِثلُه

من الحِرَفِيّين الحاذقين

كَما لو أنّ القصيدة

كَلْبَةٌ صغيرةٌ

تَلْعَقُ أنامِلَكَ بِدُرْبةٍ

مِثْلَ غانية جَشِعَة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الرّحيل!

أن يزحَلَ!

وهُنا لِلْمَرَّةِ «الأخيرة»

راوَدَتْهُ بالضَّرورة

صورَةُ عُوليسَ

التّائِه السّعيد

وقد عاد إلى إيثاكا

وكَلْبِهِ

ورفيقةِ دَرْبِهِ

والباقي

بَينما الرّحيلُ هذه المرّة

بالنّسبة إليه

له رنينُ ناقوس الموت

فلا تِيهَ هناك

ولا أَمَل في العودة

خَطٌّ مستقيمٌ

عَلَيهِ أن يتَّبِعَه

بِخَطْوٍ أَقلّ وُثوقًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويُعَزِّي النَّفسَ بِكَوْنِ

غُوليسَ

بَعْدَ انْفِضاضِ الحَفْلَة

وانْصِرام الرِّحْلَة

كان عليه أن يُواجِهَ

هو الآخَرُ

هُمومَ الشَّيْخوخة

ودَمارَها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# تمزّقات

لمْ يتوقّع

هذه المِحنة الزّائدة

كان يَعْتَقِد أنّه

نُكِّلَ بِهِ كفايةً

من لَدُنِ الحياة الخادعة

كما الحياةِ الحقّة

وأنّه أعْطى، وأعطى

دون مَكْرٍ من يَنْتَظِرُ

مُقابِلًا ما

كان يَعْتَقِد حقًّا

أنّه سَبَر أرْكانَ الغَباء والكراهيّة

وخباياهما

كلّا

كانت ثَمَّةَ مَناجِم

وكُهوف

وهُوًى

وأعماقُ بِحارٍ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وخلايا نائمةٌ

في مُخِّ بعض البَشَر

كُلُّهُمْ أُفْعَوِيّون، شُنَّعٌ، أشرار

ممّا لم يخطُرْ له على بال

وها هو أخيرًا

«فَطِنٌ»

تَسْحَقُهُ

فِطْنتهُ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# أخبار المؤلف

إنَّهُ يتعيَّشُ

يَسترِقُ نَصًّا ويَكْرَعُ كأسًا

وتمامًا كما هو متوقّعٌ

يستَنكِر ويتمرّد

وبِعِنادٍ

يُواصلُ مُشاكَسَةَ

هذه المُلْهِمَة وتِلْك

مِثْلَ مُراهقٍ من القرن العشرين

(من بدايات القَرْنِ على الأزجَح)

يقرأ حتّى تَنْقَطِعَ أنفاسُه

رواياتٍ من العالم بأسره

وقَصائدَ أضدَرَتْها أصواتٌ أخَوِيَّة

استطاعت

مُذْ وُجِدَ الشِّعْرُ

أنْ تقول لا

في لُغَةٍ لها من الخصوصيّة

ما يضمن كوْنِيَّتَها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا ينام جيّدًا

صَحيح

ويَرى أحلامًا سخيفةً

يعتبرُها غيرَ جديرة

بخَيالِهِ الخصب

نادرًا ما يَخْرُج

ويعتني كلّ العناية

بِنَباتات شُرْفَتَيه

واللّامُتَوَقَّعُ

الّذي يَغشَقُه أكثرَ

من أيّ شيءٍ آخَر

يغدو نادرًا

إلّا حينما يمارِسُ خطيئتَهُ

المُميتة المُتَمَلّلَة

تلك الّتي

يقْترِفُها هنا والآن

والرَّأس يعتريه دُوار خفيف

والقلب قد تخفّفَ من نصف عِبئِهِ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وارتعاشات هذه البَهجَة

الفارِقَة

الّتي لا توجد

حقيقةً

في أيّ فَعّاليّة بشريّة أُخرى

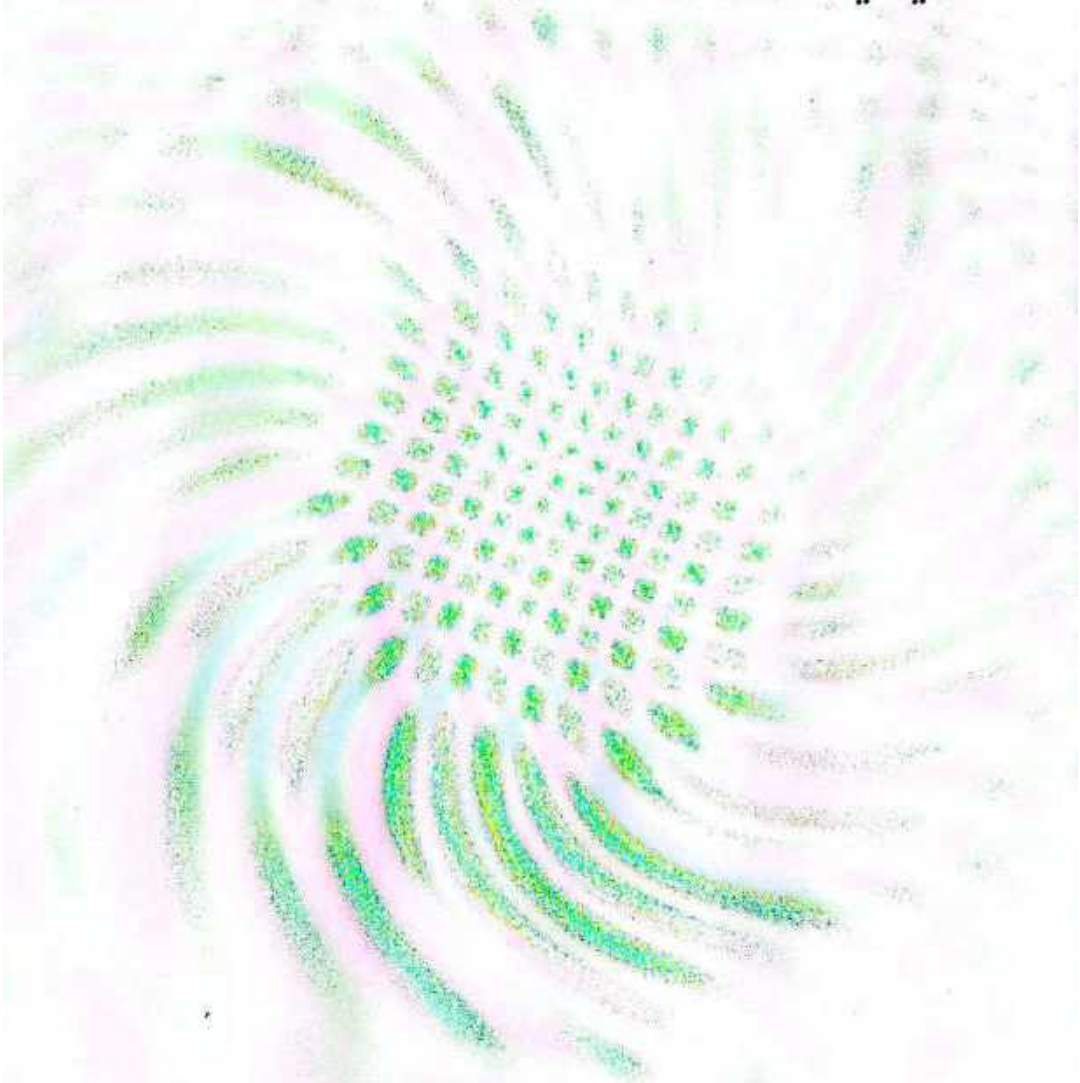

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# صُحبَة

بِرُفقة صديقته الطّيِّبَة

النّحلَة

يفتصُّ الرّحيق

ويَجْني لواقِحَ المَعارف

والابتكارات

والإبداعات

دون التّغاضي

عن عُصارة الأسرار

مع صديقته العزيزة

النَّمْلَة

يَبْحَثُ

أنّى حَمَلَتْهُ خُطاه

عن غُصَيناتِ الأمل

وفُتات الشجاعة

وقَراريطِ الضياء

يتّخِذُها زادًا

لِشتاء الإنسان المُقْبِلِ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مع صديقته الوفية القديمة

الشّجرة

يُمْسِكان بِيَدَيْ بَعْضِهِما

ويَغْمَدانِ للتّأمّل

يستَسْلِمان للموسيقى

الّتي توحي بها الأرض للسّماء

ويواصلان تَبادُل

أسرارٍ

حُفِظَتْ

في عَهْدٍ مُسْبَق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# مَزيدًا من الأسئلة!

أسئِلَةٌ

مَزيدًا من الأسئلة

أسئِلَةٌ لا تَنْتَهي!

مِنْها الأسئلة الخَرْقاء

والّتي لا يقْوى على الاسْتِهانَةِ بها

كالسؤال الّذي يُلازِمهُ

من فترة قريبة:

ماذا سَيَفْضُلُ مِمّا كَتَبَ

لِنَقُلْ، بعد خمسين عامًا؟

كِتابٌ

صَفْحَة

حِكْمَةٌ

لَفْظٌ من تَوْليده

كَلِمَةٌ تقادَمَتْ

أعاد بَثَّها في اللّغة

فاتَّشَحَتْ فيها

بألوان جديدة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أو ربّما لا شيء

لا شيء بالمرّة؟

هناك بالطّبع تلك الدّائمة:

أسئلةُ الحياة والموت

والحُبّ

والإخاء

والوَفاء

ومعنى المُغامرة الإنسانيّة

ومَحْدودِيّتِها

وتلك الّتي أجاب عليها

العِلْمُ على نَحوٍ ما

أو الّتي أعْلَنَ

أنّها خارج اختصاصه

ثمّ هناك تلك

الّتي لا يتشاركُها حاليًا

إلّا... مع نفسه

أو يدُسُّها خُلْسَةً

في قصيدةٍ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مُسدِلًا عليها حِجابًا

شفّافًا بمقدارٍ

تلك الأسئلة الّتي يَقِف أمامها

حائرًا

لكثرة ما تبدو له

أُغْرَبَ مِمّا

قد يُدْرِكُه عقلُ إنسان

أسْئِلَةٌ

مَزيدًا من الأسئلة

مِنْها المُحْبِطَة

ومِنْها المُفْرِحَة

الغريب أنَّ أيًّا مِنْها

لم يُنْهِكْهُ التّداوُلُ

ولا وَجَدَ جوابًا مُفْحِمًا

وبالأخرى نهائيًّا

كلُّها ما زالت حاضرةً

عجائزَ وراشداتٍ وشابّاتٍ

بعضُها طُفوليٌّ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتَختَدِمُ في مِزجَلِ

أُعِدَّ لذلك

مَجَرَّةٌ صعبةُ المِراس

أخذَتْ مكانها داخلَ

جُمجُمةِ الشّاعر

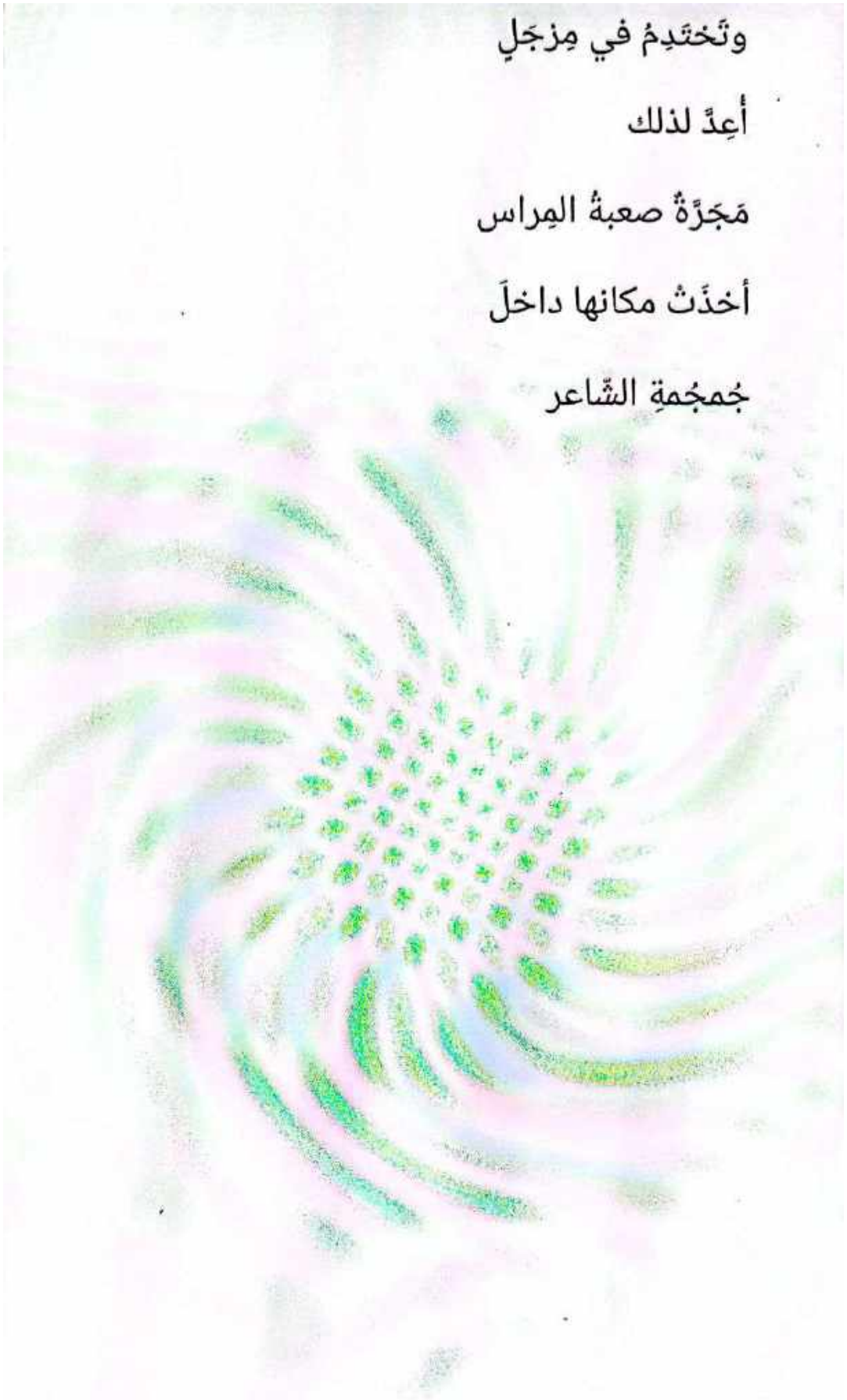

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# سِيزِيف مَبْهوتًا

إنّه نَبْعٌ

انْبَجَسَ في كَوْكَبٍ

بمَجَرّةٍ بعيدة

وفي الحُلُمِ

يُطْفئ ظَمَأ العَطْشى

إنّها امرأةٌ

روحٌ صِزفة

على صِفَةِ العين المُجرَّدة

مَرْسومةً

وسَط الكَفّ

إنّها حبّة رَمْلٍ

بها مسٌّ من الحياة

تُزاوِلُ أحلام

ما قبْل الوَعْيِ

إنّها ثَمَرةٌ

من نسج خَيالِ الشّجرة

الّذي لا يَنْضُب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إنّه إلَهٌ

صالحٌ للأكل

في زمن الحرب

والمَجاعَة

إنّها حِصّة الفقير

والغائب

والتّائه

والمنبوذ

إنّه انتظارٌ

بِلا نافذةٍ

بِلا نجمةٍ بين العينين

بدون غليون الرّسّام(2)

الّذي هو ليس بغليون

إنّه الدَّرْبُ

المفقودُ

المُستَعادُ

المفقودُ من جديد

الوهمُ التّامّ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمُشتَهى بِحَمِية

إنّه الكِتاب

المُدرَكُ في أدقِّ تفاصيلِه

والّذي لن يَنْكَتِبَ

أبدًا

إنّه البورتريه

مِنْ بِضْع قَسَماتٍ

مُلامِسًا الجوْهر

إنّه الأبيضُ

دون زيادةٍ

لأيّ لونٍ آخرَ

يُضاهي الأسوَدَ فَصاحةً

إنّه الدّم

قُزُحِيًّا

يتدفّق من الأوْرِدة

يَملأ النّصفَ الفارغ

مِن الكلمات

إنّها الشّجرة الأولى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المَلْأى طيورًا تُصَلّي

وهي تَنْمُو

مَحَلَّ السُّرَّة

إنه بَيْتٌ مَهْجورٌ

طَوْطَمٌ عارٍ

تُهَذهِدُهُ الأمواج

وتَحُفُّ رأسه

هالةٌ من نُجوم

إنه قبرٌ

بمَنْأى عن البلاد

والأهْواء

ثُقْبٌ إضافيٌّ

في مِظْفَحَةِ الذّاكرة

نِكايةً

بِآكِلي الجِيَف

إنّه ذاك الذي

لم يَعُدْ يَجْرُؤ على الكلام

خِشْيَةَ أن يُصبح

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مَذعاةً للشَّفقة

إنّها تلك التي تُضاهي النّافورة

الّتي ينبجِسُ منها الضوء

وكذا المَوْجة

الّتي تنشُر

سُلطان الظّلام

إنّنا نحن

الّذين نتواجدُ

وسط مَخاضَة النّهر

مرارًا وتكرارًا!

إنه سيزيف مَبْهُوتًا

يرى الصّخرة

تنفلت من بين يديه

وتطير في الهواء

إنّها ليلةُ أرَقٍ أخرى

ساحةُ معركةٍ

أضْحَتْ مألوفةً

وحيث الرّغبة في الانتصار

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ليست أكثر ولا أقلّ اضْطِرامًا

من الرّغبة

في الانهزام

إنّها نُتْفَةٌ

تُضاف للنُّتَفِ الأخرى

خُدْعَةٌ

في أحسن الأحوال

لإرْباكِ

وخشِ اليَأس

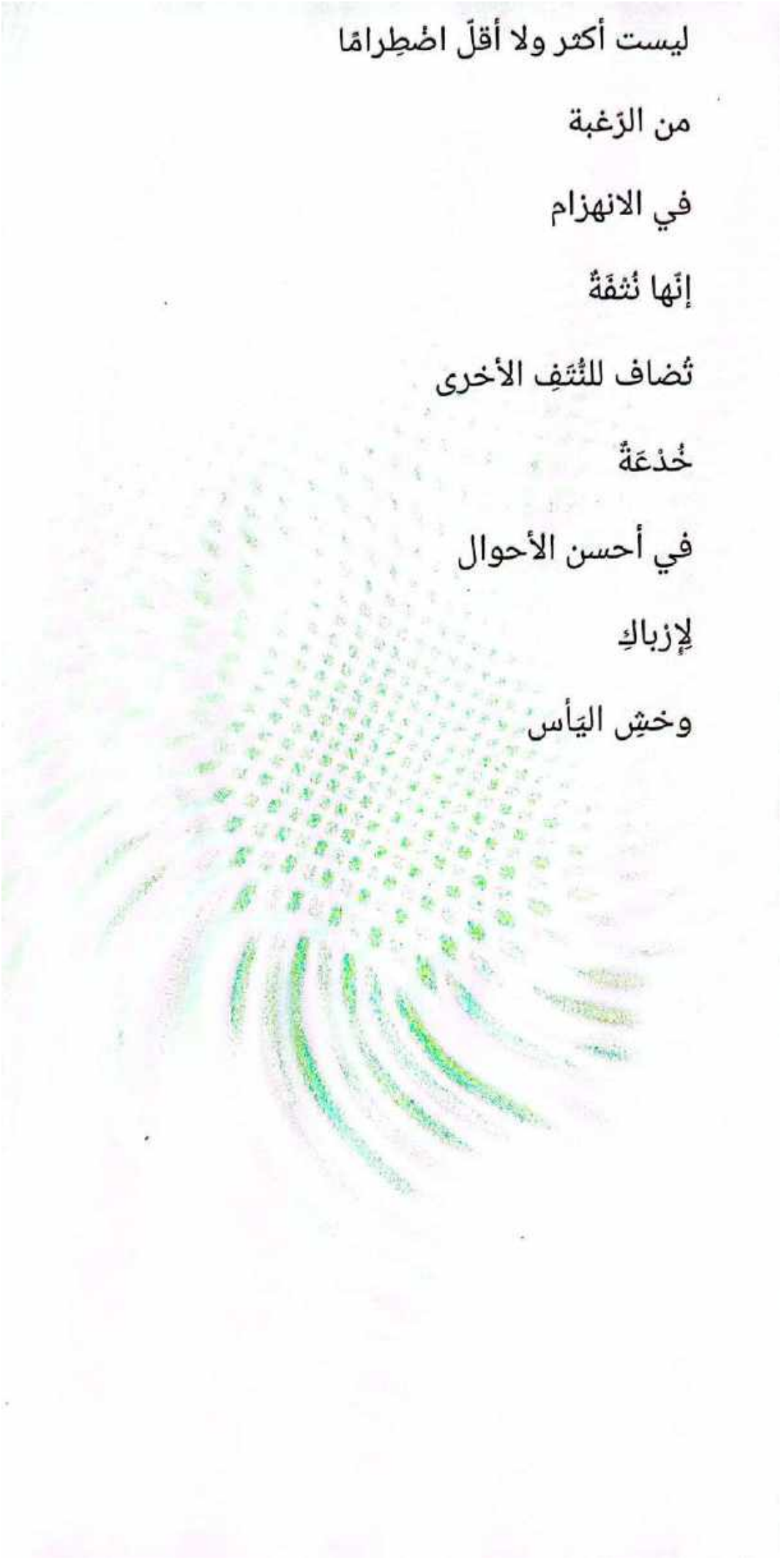

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# كَهْفُ الحَمام

إلى عيسى مخلوف

عُضفوران

ولا حَجَر

البَحْرُ

عَلَمٌ يُرَفْرِفُ في الفراغ

وتَحتَ الفراغِ كَهْفٌ

الشّمْسُ تشرِقُ

المشّاء يَخْرج من المَوْجة

والسّماءُ واطِئةٌ جِدًّا

صورَة الأَب

الضَّوْءُ يَهْجُرُ

عُيونَ الفاخِتَةِ الوحيدة

قارَبٌ يَغْرَق

خَلْفَ الأُفُقِ

المَنْبَعُ

بِنِصْفٍ مُظْلِمٍ

ونِصْفٍ مُضيء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يَدٌ تَنْفَتِح

أشجارٌ وحيدةٌ

أشجارٌ مُتَضامنةٌ

لكنّها جميعًا

مرْفوعة الهامة

وبأقدام ثابتة في الأرض

قهوةٌ بِالْهيل

الرَّشْفة الأخيرة

في قَعْر الفِنْجان

طَرَفُ مِرآة مُنكَسِرة

كَفُّ الأصدقاءُ عن الكلام

تعَلُّق القلب بالقلب

قَبْرُ النّسيان

قَصَبٌ ونَخْلٌ وياسَمين

تَوَقَّفَتِ الرّيحُ

على مشارف الصّحراء

المعشوقة والصّديق والقصيدة

الغَدُ ستمْتَصّهُ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الغيوم

مأساة الحُبّ

الحمراء

صباحًا

أشجار الجاكَرانْدا

تَضحو

وتتمطّى فرحًا

قبل خمسين عامًا

كنتُ هُنا

كنّا جميعًا هُنا

نَستَغْوِر أقاصي الحُلْم

ونَكيلُ، بالفكرة، الضّربات

لِرَكائزِ العالم القديم

في إهْدن

تَفْرِدُ السَّماء أجنحتها

وتتدلّى

لتُداعِبَ

وادي قاديشا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المَسيحُ يأكل

ويضحك

ويتحدّث بالعربيّة

في اللّيل

خطواتٌ وئيدةٌ في بيروت

هَديل الأصْوات

أيقوناتٌ بَدَل الوجوه

في الكنيسة المهجورة

سِكّين الغِناء

يَتْكَأُ الجراح

بَكَيْت

الروشة، بيروت، سبتمبر 2018

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# مَلاجئ

أخْبارُ اليوم مُزعِبة

كأخْبارِ الأمس

وأوَّلِ أمْس

على غِرار المَلاجئ

المُحَصَّنَة ضدّ الطّائرات

المَلاجئ ضدّ الهُجوم النوويّ

يجب أن تكون هناك

مَلاجئُ تَحْمي

من الكوارث والفظاعات

عُدْوانِيّةِ الخِطابات من

والأصوات والصّوَر

مَلاجئ تَحْمي

من الكذب البواح

من الدّناءة والكلام السّاقط

يجب أن تكون هناك

مَلاجئُ تَحْمي

مِنْ ضروب الكراهية كُلِّها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن اليأس

مَلاجئُ آمنةٌ

على تواضُعها

يَطيب فيها اللّقاء

والرّفقة الطَّيِّبة

لتقاسم لحظة سُكونٍ

وكسرةِ خُبزٍ وزيتون

إذا البَطْنُ عَوى من جوع

إلى أن ينتهي الكابوس

ويخرج الجميع

لتعود الحياة

إلى سابق عهدها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# سَلام

أيُّها السّلامُ

أحِنُّ إلَيْكَ

نَحِنُّ إلَيْك

تَحِنُّ إلَيْكَ

هذه الإنسانيّةُ الضّائعة

وهذا الكوكبُ المعذَّب

وحتى هذا الكون البعيد الغَوْر

وغير المُكترث

أيُّها السّلامُ

مُدَّ لنا يَدَك

رَيْثَما نتعلَّم من جديد

أنْ نتنفَّس ونَفشي

أنْ ننظُرَ ونُنْصِت

ونضحكَ ونَبْكي

ريثَما نتعلَّم من جديد

كلماتِ الحنان

وحركاتِ الحبّ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأبجَدِيَّةَ الجَمال

وتَرانيمَ الأُخُوَّة

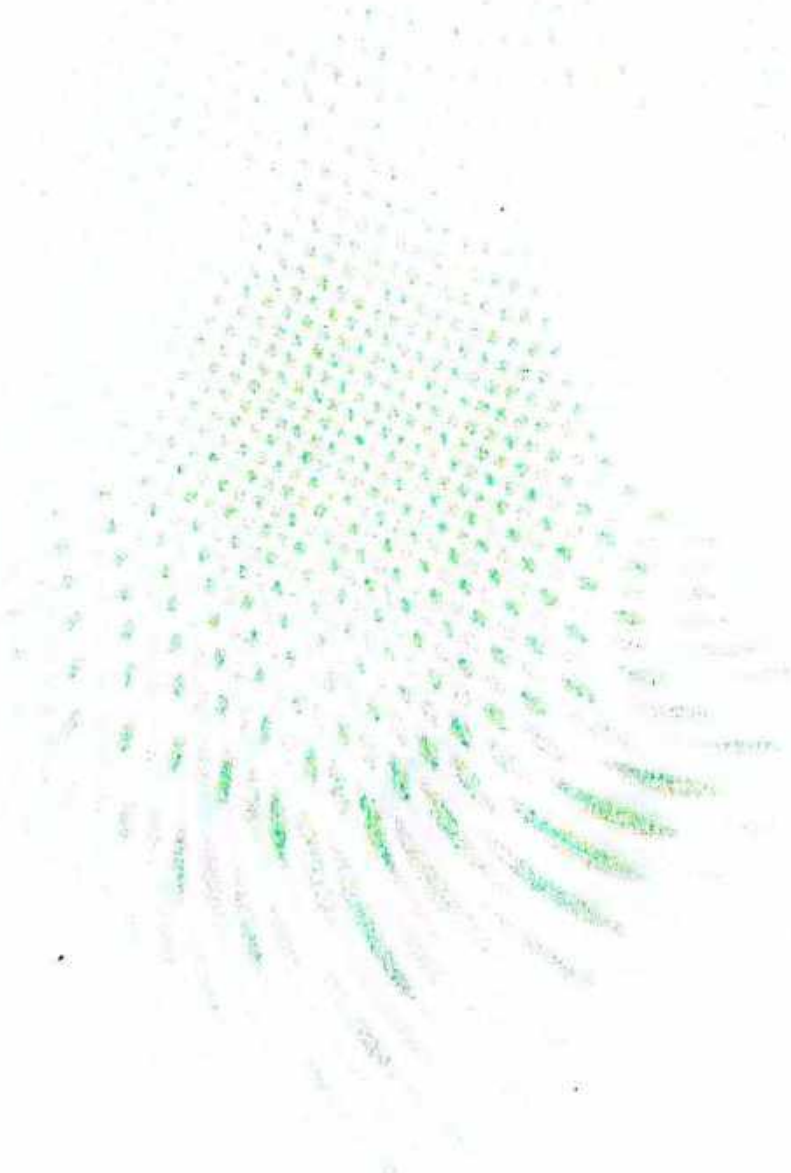

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# حالاتُ انْقِراض

دُلْفينُ الغانج

فَهْدُ فْلوريدا

نَمِرُ البَنْغال

أنْقَليس أوروبّا

سَرَطان جوز الهند

الضّفدع البَهْلوان

الأسروع الفِزعَوْنيّ

الصّقر المُلْتَحي

سلحفاة النّهر الطّائرة

بُطْرُسِيُّ غالاباغوس

فصائل حيوانيّة كلّها

في طريق الانقراض

هلّا أضيفُ

في ما يتّصل بالنّوع البشريّ

الكتابةَ بِاليَدِ

البوحَ بالحُبّ

القُبْلةَ على الجبين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إعلانَ الرّغبات الأخيرة

سكوتَ المَدافِع

العِطرَ الطّبيعيّ للوردة والمرأة

الاحتفاءَ بالخَفر

صلاةَ الفجر الدّينيّةَ والوثنيّةَ

التّأدُّبَ

لطائفَ الإشارة

الاستنشاقَ والاستِقْصاءَ والجَسَّ

والمُبارَكةَ

وتحريكَ اللِّسان سَبْع مرّات داخل الفم

«التَّنَهُّداتِ الطويلةَ لِكَمنْجات الخريف»(3)

قولَ بيرينيس لتيتوس

«في شهر، في سنة، كيف سيكون عذابُنا؟»(4)

الأسماءَ المئةَ

للسَّيْفِ والجَمَل

في اللّغة العربيّة

المُعجمَ اللّذيذ

لخريطة «الرّقّة»

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في اللّغة الفرنسيّة

غضبَ المقهورين الكبيرَ

ليس لنَيلِ فُتاتٍ إضافيٍّ

ولكن لِلْقَضاءِ

على فظاعات القهر كلِّها

وحتّى تَكْتَمِلَ القائمة

أُضيفُ الشِّعْرَ

مَسْموعًا ومَفْهومًا

وقابلًا للتّبليغ

الشّعرَ الّذي يُنْبِضُ القلب

كما لرؤية الحبيبة وافدةً

لأوَّل مَوْعِدٍ

والعمرُ في مستهلِّ السّابعة عشرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# رِهانات

أضحابُ الصَّخَبِ

والصَوتِ المُرْتَفِع

والقهقهة الفَظَّة

ألا يَعِنُّ لَكُم الهَمْس

والتّنهّدُ

والإشارة اللّطيفة

والغمزة

وبُرعُم الابتسامة

يَمُرُّ مَرَّ الكِرام

على الشّفاه؟

الشّمس تغْرُب

لأنّها تُشْرِق!

الألْوانُ

إن اقْتَرَنَتْ بِبَغْضِها

فإنّها لا تفترق أبدًا

الكُتُبُ تُمارس

زواج المُتْعة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بين الدّماغ

واليَدِ

لا أرى سوى القلب

ليُقيم الوَصْل

بين الحِجاب الكامل

والعُزلِ الكامل

ليس هناك شَبَهٌ صارِخٌ

لِأَوَّلِ وَهْلَة

حُلم النّائم

كان كبيرًا وجميلًا وعادِلًا

لكن لمّا الشّمس أُشرِقَتْ

لم يستطع الخروج منه

ها هو ذا حَبيس حُلْمِه

مَدى الحياة!

في النّوْم خطورة

وإنّي لَأَشْهَدُ على ذلك

في أيّامنا هذه

تبدو الشّعوب سعيدةً

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بانْخِداعِها

ما أكثر المُنْقِذين

ما أنْدَر النّاجين

الإنسان الكريم

تشير إليه الأصابع

أعَلَيهِ أنْ يتوارى

أمْ يلتحق

بِمَوْجَةِ النّازِحين؟

على كلّ بلادٍ

أنْ يَكونَ لها

حائطُ مَبْكى

نَرْسيسُ

مَلِكُ الملوك

مُتربّعًا على عَرْشِه

القائم على الماء

القَطيعُ

لم يعد في حاجة لراعٍ

ولا لِكَلْبٍ وعَصا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهو يكتفي باقتفاء أثرِ

قَطيعٍ آخَر

كليشيهاتُ الأمس

أُضبِحَتْ

استِعاراتِ اليوم

التّقدّم

أيَكون تقهقرًا؟

زوال اليوم

عند مُغادرة المَخبَزة

ابتسامة الفتاة الصّغيرة

المُوجّهة إليّ وخدي

وعيناها المَلْأى زُرقةً

وثقةً

الحياة تأخذ من جديد معنى

قلتُ في نفسي

الأطفالُ

الصّغارُ مِنْهُم

سيحفظون دومًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لِلْإنسانيّة

ماءَ وَجْهِها

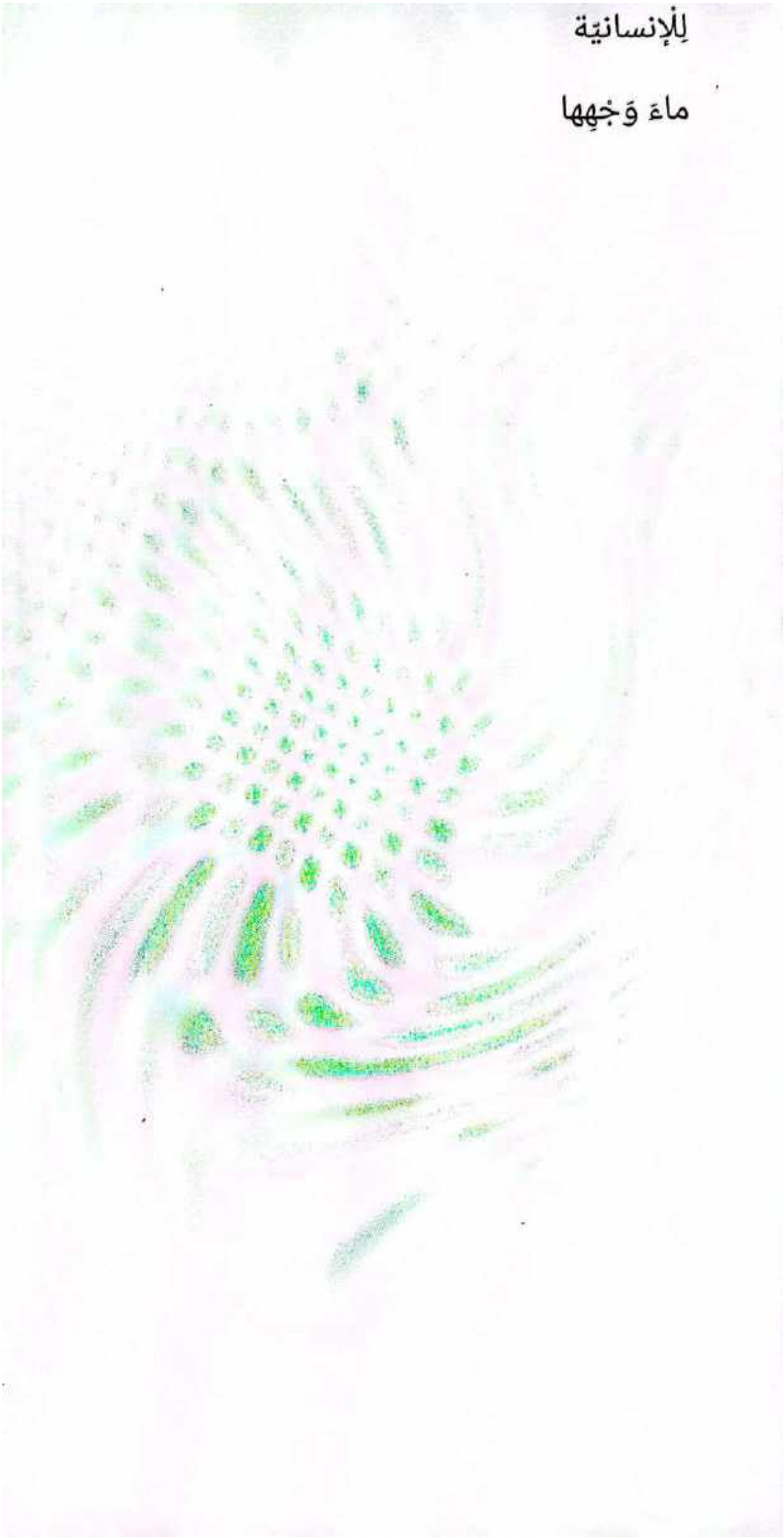

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الصّوتُ اللّعين

الصّوت اللّعينُ

أسمَعُهُ

آتِيًا مِنّي إليّ

يقول لي تِلْك الأشياء القاسية

بِتِلْك الكَلمات

الّتي أقْصَيْتُها مِنْ فَمي

لقد اسْتَنفَذْتُ الأمَل

واليأس لربّما أكثر

العَيْشُ

مع هذا الضّمير الّذي أحْمِلُه

يُؤلِمُني

ما إنْ أغْفو

أجِدُ نَفْسي

في قاعة التّعذيب إيّاها

وجَلّادِيّ

تارَةً غُرَباءُ

تارَةً أقْرِباء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحشٌ بَشِع

يسحَبُني من قدميّ

ويأخُذني

صَوْبَ اللّيل

المجهول

في كلّ مرحلة من حياتي

اسْتَعْجَلْتُ المُرور

إلى المرحلة اللّاحقة

فلا مَجال الآن

لِخَرْق

القاعِدَة

كَمْ وَدِدْتُ

لَوْ تكون لي مَلاذات المُؤْمِنِ

وملاجِئُه:

الدَّيْر

الكَهْف

لِأَسْتَغْرِقَ الفِراق

وأنسى أنّه كان لي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اسمٌ ولَقَبٌ

سَلَفٌ وخَلَفٌ

وأنّي عِشتُ

في حقبة قَذِرَةٍ بِعَيْنِها

أفْتَرِشُ الأرض

كما في «الزّمن الذائع الصّيت»

زمن السّجن

وأن أُجبِرَ نفسي على الصّمت

إلى نهاية

أجَلي!

الصّوْتُ اللّعين

لا خِيارَ لي

سِوى أن أُصغِي إليه

وإيلامُهُ

يُريحُني

لم أعُد أحتاج أن أنْظُر

إلى وجهي في أيّ مرآة

فهاوِياتي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الّتي تَفَحَّضتُها

أَنْظَفُ

وأكثَرُ وفاءً

على الشّاعر أنْ يموت يافِعًا

وإلّا...

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# حسرات

داعَبْتُ حَتّى الأعْماق

أشدَّ الأحلام امْتِناعًا

وناوشْتُ الدّقيق عن الوصف

لِأُنْتَزِعَ منه بعض الأسرار

واسْتَطَعْتُ أن أُوارِبَ باب

السّرّ العظيم

وَلَكِنْ

بما أنّي غَيْرُ مُتَبَصِّرٍ

وأنّي بَطَلُ الغافِلين

لَمْ أفكّر قَطُّ

أن أُدَوِّن أدْنى ملاحَظة

أن أُخَرْبِشَ أدْنى رَسْم

كنت أستفظِعُ المُفَكِّرات

وأثِقُ أكثر من اللّزوم في ذاكرتي

الخائنة!

حياةٌ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على حدٍّ تعبير احد المتقدّمين

خانات ناقصة

حلقات

انْتَزَعَتْها هنا وهناك

يَدٌ ناقِمَةٌ

إنْ لَمْ تَكُنْ «عَدُوَّة»

حياةٌ نَشِكّ

صراحةً

أنّنا سبق وعِشْناها

لكثرة ما تبدو جنينيّة

بل افتراضيّة

عَمَّ أتَحَدَّثُ هنا

وعَمَّنْ؟

أيْ نَعَمْ

حَسْراتي

لا تُعَدُّ ولا تُحْصى

ومِنْها العديد من الأمْثِلَة!

خُذْ مَثَلًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ألّا أكون

ولو لمرّةٍ واحدة

مرّةٍ واحِدَةٍ ووَحيدَةٍ

قد واجَهْتُ العُنْفَ

بالعُنْف

كوني لم آكُلْ

سِوى نِصْفِ التُّفّاحَةِ

ولم أشرب لِكَيْ أسرُطها

سِوى نِصْفِ الكأس

كَوْني لم أكُنْ

في تجارب الحُبّ

مأسورًا أكْثَرَ منّي آسِرًا

أكثرَ إلهامًا

في الكتابيّ

والشّفاهيّ

كَوْني لم أكُنْ غَنِيًّا كفايةً

لِأُحْتَقِر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن دِراية

كوني لم أكُنْ فقيرًا بما يكفي

لبلوغ الكرامة الكاملة

للعَوز

كوني لم أُحَضِّرْ أيَّ شيءٍ

لأَسْتَقْبِل الشّيخوخة بما يليق:

بَيْتًا بِلا سلالم كثيرة

يستقرُّ على متْنِ مَركَبٍ شراعيٍّ

مُبْحِرٍ على الدَّوام

حديقةً أُعِدَّتْ وَفْقَ التّقاليد

الإيروتيكيّة العربيّة الأصيلة

رُكْبةً بديلة

وأَلْفَ قارورة

من عطور الطّفولة المفقودة

كَوْني لم أتعلّم

في الوقت المناسب

اللّغات

الّتي أفْتَقِدُها اليوم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حينما أهَمُّ بالحديث

إلى النّجمة الأضل

إلى إخوتي الطّيور وذوات الأربع

إلى روح غيثة(5) أو صخر(6)

إلى شَبيهي الّذي

رَحَل صغيرًا

كَوني لم أكتبْ

سِفْر الأسفار

حيث كنت سأقْلِبُ كلّ معنى

رأسًا على عَقِب

وأُطْلِق العِنان للهَزطَقات

الّتي لامَسَتُها بالكاد

للّغنات

الّتي لم أُوَزِّعْها إلّا بتقتير

والّتي لن يَسلَمَ فيها

من لساني الطّليق

في هجوم أخير

شيءٌ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا شخص

بذءًا من نفسي

كَوني لم أُؤَلِّف

من مادّة سجوني

الرّهيبة والعَجائبيّة

كوميديا إنسانيّةً جديدة

خُذْ مثلًا!

كَوني لم أمتلك الجسارة

لِأفِرَّ من السّجن

نكايةً بالطّاغية

ولأعيش حدّ سَكْرة الجنون

الأعوامَ الثّمانية والنّصف

الّتي سَلَبَها منّي

كَوني لم أنجحْ

رغم عُهودي

ومُرافعاتي

أن أكتب حقًّا

باللّغة العربيّة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كوني لم أستطع أبدًا أن أعزِفَ

على آلة موسيقيّة

ولو على الدفّ الصّغير

الّذي يضعه الحَكّواتِيون

على أكتافهم

وينقرون عليه بإصْبَعَين

لضبط إيقاع حكاياتهم

كَوني لم أبدأ

الرّسم

في سنٍّ مبكّرة

كوني لم أعِش

حياةً بديلةً

عوض الحُلم بها

ودفع الآخرين

للحُلم بها

والّتي كان لي أن أحياها

وهذا يمكن التكهُّنُ بِه

في مكان ما بالأنْدَلسِ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أيًّا كانت الحقبة

كوني لم أمتلك الشّجاعة

لِأضرِفَ بلا رجعة

ودون أيّ مُراعاة

المُتوَسّلين القُساة

النمّامين الّذين لا باع لهم

الّذين يَشكون تفاهة وجودهم

المعجبين على هَذي الشّائعات

القُرّاء بلا براهين

الأصدقاء عند الضّرورة

قتلة الجمال في المَهْد

الصّحافيِّين في غياب الأفضل

السّياسيّين الأحياء الأموات

الأكثر قذارة

والأقلّ نفعًا

من مَماسح الأرض

كوني لم تسنح لي إلّا نادرًا

فرصةُ قول

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«نَعَمْ»

في حين لم أتفكّ

أقول «لا»

«لا»

ثُمَّ «لا»

بجميع النّبرات

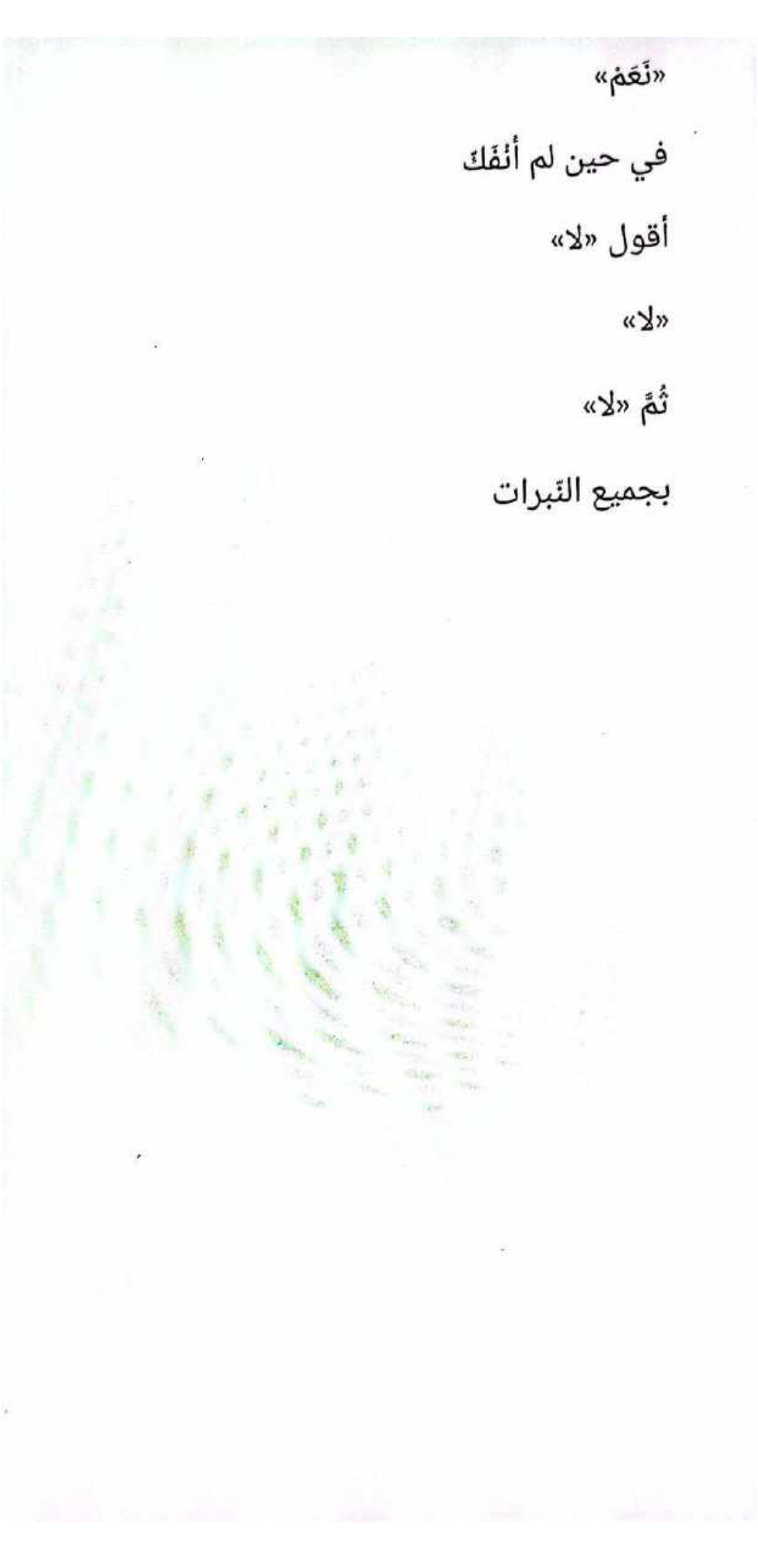

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# رِوايَةُ المَنْفَى

رِوايَة المَنْفى

كنت أحسِبُها قد انْتَهَت

حتّى لَأنّي سَفَّزتُ أجزاءها

ورصصتُها

في أعلى مكتبتي

حيث لا أستطيع الوصول إليها

إلّا على مِرقاة

واليوم أتساءل

ألا يجب أن يُفْتَح

في هذه الرّواية

فصلٌ جديد؟

لأجل إضافة ماذا:

وَجَعٍ جديد

للأوْجاع المُتقادِمة

جُرحٍ حيّ

ودامٍ

للجراح الميِّتة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والدّفينَة؟

انْتِباه

أرْضٌ زَلِقةٌ

رِمال متحرِّكة!

رواية المنفى

عُقْدَتُها لا تُفَكّ

تَثْرُك

طعمًا مُرًّا

لَدى إعادة القراءة

طعمَ عدم الاكتمال

وسرعان ما نُفاجأُ

بأنّنا نُدَنْدِنُ بِلَحْنِ

وكلماتِ

نشيدِ التّراتيل

الّذي اعتقدنا

أنّا نسَيْناه

نشيدِ

«التمزُّقات كلِّها»

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

آه! ما أسعَدَ المُطمَئنّين

الفاتِرين

المُستَسلمين

البَعيدين

عن تقلُّبات الهَوى

ما أسعدَ

النزَوِيّينَ

المُتَفرّغين

الّذين يتوفّر لهم الوقت

والمال

ولا يُزعجُهم سِوى المَلَل

ما أسعَد

أصحاب اللِّياقة

والتَّوازن

والمتعَقِّلين

والرّاضين

والأصِحّاء

ما أسعَد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأوابِدَ

الوارثين

المُتَمَكِّنين

المُتجذِّرين

المالِكين

ما أسْعَد

«الوطنيِّين»

الفَخورين بانتمائهم

مجانينَ العَلَمِ

الّذين بُحَّ صوتُهم

من ترديد النَّشيد

ما أسْعَدَ

رُوّاد الحانات

والمساجد

والملاعب

وأنواع الأفيون الأخرى

الفعّالة بشكل شيطانيّ

لِبَثُّ غريزة القطيع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وجرثومة الرَّهط

ما أسعَدَ

المُتفرِّجين

متَشَيِّعي التّسليّة

الذين يعرفون كيف يتمتَّعون بالوقت

يسافرون جماعة

ويتبادلون عبر النِّت

صورًا

ومسرّاتٍ صغيرةً

واكتشافات

ما أسعَدَ

من يتدبّرون أمورهم بلِياقَة

لا هُمْ مَعَ

ولا هُمْ ضِدَ

الّذين يُراعون

بِدِقّة

قواعدَ اللّامبالاةِ الصحيّةَ

ووَفْقَ جُبنِهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يكيّفون مبدأ الحذر

ما أسعد الشُّطّارَ

المُتصَنِّعين

الشُّنَّعَ الأشرارَ

مَنْ لا تَطالهم مُصيبة

ولا تَرُجُّهم مأساة

ويتمكّنون دائمًا من البقاء

مثل الصّراصير

بعد الكوارث الإنسانيّة

والطّبيعِيّة

ما أسعَد

السُّذَّج

الأرواح البسيطة

الخاسرين

الّذين يُختزل الكونُ

في كوخهم

وفي الحصيرة

الّتي يُقرفِصون فوقها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أو يرتَمون عليها

وفي لُقْمة العيش

يحصلون عليها أوْ لا

في نهاية يَوْمِهم

ما أسعَدَ

من ينجحون

في إبطال الآلام

والانفعالات

والأسئلة

الّذين قطعوا

مع الأحاسيس

وعلى رأسها

الحَنينُ

المفترسُ الرّهيب

ما أسعَدَ

من لا يشعرون

لا بالمسؤوليّة

ولا بالذّنْبِ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أبدًا وعلى الإطلاق!

القادرين

على إخضاع مَظلَبِ الخير

لضَرورات الشّرّ

واللّعِبِ على الكلمات

كما يلعب القطّ مع الفأر

قبل أن يسحقَهُ

ما أسعَد

الغُرباء مَوْلِدًا

الّذين أنجبتهم الحياة

أبناء لآباء مجهولين

الضّالّين العائدين

المسكونين بالهُناكَ

السّالمين المُعافين

من مصائب عالَمِنا

وشُرورِه

ما أسعد الشَّجَرَ

والحَجَرَ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحَبّات الرمل

والقُبور

والبيوت العتيقة

والضّفادِع

وديدان الأرض

الّتي تشعر أنّها في ديارها

أنّى وُجِدَتْ

وتدعو في صمت

للتجَرّد

آه! ما أسعد

التّعَساء

الّذين يُعانون بنَخْوَةٍ

دون أيّة شكوى

أيّة آهة

ويُواصلون الكَدّ

في أعماق بعض دوائر

جَحيمِ

هذه الدُّنيا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رواية المنفى

عِبْءٌ على كاتِبها

وحتّى لو كانت نبْعًا

فهذا النبع ينضحُ ماءً ثقيلًا

قَلَّما يُفيد العطشانَ

والمتشرِّدين الرّاسخين

مُذمِني القلق

المَنْفَى

أقرب ما يكون إلى التّعذيب

ومن عاشَهُ

جسدًا وروحًا

هو بالضرورة حَيِيٌّ

وعندما يضْطرُّ للحديث عنه

فهو يتوقّف غريزيًّا

على حافّة الهاوية

على أطراف السّعير

وعلى تُخوم العقل

إنّه يعرف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حقّ المعرفة

بأنّ هذا الحياءَ

هُوَ الّذي يُنْقِذُهُ

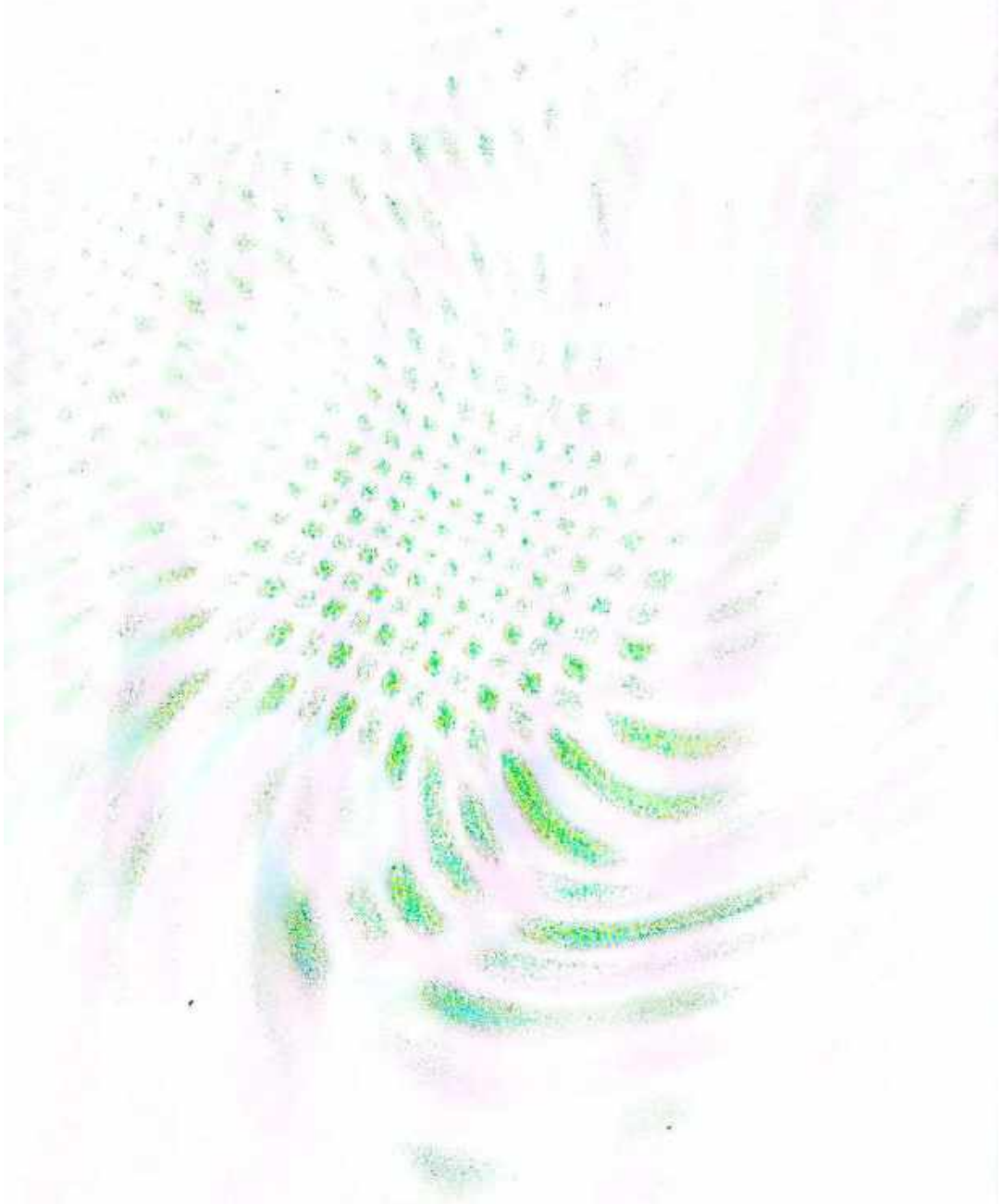

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# حَياةٌ سابِعَة

كَمْ حياةً عشتُ؟

يَروقُ لي أن أخَمّنَ أنّها سِتٌ

وتبقى لي سابعةٌ

عَلَيَّ أن أكون جديرًا بها

صفَحاتٌ بيضاء

يسرّني أن أملَأها

بِنُتَفٍ جميلة

بكلمات أُعيدَ إحياؤها

لفَرْطِ ما تمَّتْ مُداعبتُها

في منحى الضّياء

والشَّهوَة

بحكايات يَجْهَلُها

الحَشْدُ الخامِل

من حكّائين وروائيّين

قِصَص حُبّ؟

أجَلْ، بَعْضٌ مِنها

لتجْديد هذا الجنس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المُختَضَر منذ رذح من الزمنّ

ثمّ أخرى، قصصٌ أخرى

لا يُنتَظر أن تأتيها ريشتي

حيث لن أتردّدَ في أن أزايِدَ

من حيث الأفكار السّيّئة

أن أسمح لنفسي بِتَرَفٍ

لم أستمتع به قطّ

ترف الاستفزاز المَخضِ

اللّامسؤول

والمجّانيّ!

نِزالٌ للشّرف فقط؟

لِنَفرِضْ ذلك!

لكنّ الرّغبة ستكون سيِّدة الموقف

في هذا الإقبال المُفْرِطِ

على الحرّية

وسيُعانق الخيالُ من جديد

طَمْيَهُ الأصليّ

ويَنْغَمِرُ في عُنصُرِهِ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وللمَلَكات الخمس المعروفة

ستنضافُ الرّؤية

والمُفكرُ

سيكون مؤكَّدًا وبانتظام

والمُستحيلُ

سيكون بذيئًا لا غير

ولن يكون هناك موجودٌ أسمى

ولا سُلطة شرّيرة

لتَعْكير الجَوّ

وتَكْدير الصّفْوِ

لا شيء يمكن أن يوقِفَ

الشّاعر والمُنشد والمُغنّي

المُتحرّر من الارتباط المَرَضيّ

والمعيب

بالحَيوات

التي تركها خلفه

عند الفجر

ولحظة الغسق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حضريًّا

بين الحُلُم وحُلم اليقظة

بين التأمّل وفُقدان الوَعي

بين المِغراج اللّيلي

والاستِزفاع النهاريّ

وقت الخُسوف والكُسوف

وانقِلاب الفصول

عندما يَنْبُض القلب

كما في العشرين

والعينُ

كما في الثلاثين

يستفحل شبقُها

لمّا الكَوْن

منذ نشأته

يقترب بأعجوبة

في جزْءٍ من الثانية

من الفهم

لمّا الجسد والرّوح

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتوحّدان

ويستسلِمان لِهَذْهَدَةِ موسيقى

تَكَوُّنِ أضلي

بَعيدٍ عن ادّعاءات

ساعاتيّ كبير أو مانيتو

سيضعُ المُنْشِدُ يَراعَهُ

ويطوي نهائيًا

كُرّاسته

حياة سابعة

على سبيل التُّزهة

ولجمال الشّيء المُتخَيَّل

التّرفُ الصّغير

الّذي طالما امْتَنعنا عنه

حياةٌ

ضدَّ التّيار

مُنتَزَعَةٌ من قبضة القَدَرِ الفولاذية

«مسروقة» بكلِّ شَزعيّة

خاطفةٌ لا مَحالة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وجامِحة

حياةٌ

يطيب فيها النّسيانُ

والصّفْحُ

والبَذْلُ

حياةٌ مأهولَة للغاية

حيث أشعرُ بحُضورِ

صوتٍ ونَفَسٍ وأريجٍ وابتسامةٍ ومَلْمَسٍ

اللّائي والّذين

أحببتُهم

أمواتًا كانوا أو أحياءً

بطريقتي الوحيدة في الحبّ:

الوَلَه

كَمْ سأكون مُفْعَمًا!

لأنه لا حسرة هناك ولا ندم

انْتَهى الانتظار

انتهى التّمنّي

سيكون هناك فقط

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دليلٌ أخيرٌ على الحبّ

الاستسلام التّامّ

ثُمّ الابتعاد

حتى اختفاء كلّ الآفاق

وحُلولِ عهد الصّمت

الصّفوح

وكلّها نِعَمٌ مُتَمَنّاة

ومؤعودةٌ

وتمّ الوفاء بها أخيرًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# لا أكْتَرِث

مِنْ يومذاك

ولَحظتذاك

تلقّفني الهباء

وآفاقي الخلفيّة

والأماميّة

وسماواتي السّفْلى

والعُلْيا

امتصّها ثقب أسود

في مصّة واحدة!

لكنّي لا أكْتَرِث

الآن

تدقُّ ساعة قلبي

في أوقات غير مُناسِبة

وأعضائي

تتخبّط في وظائفها

لكنّي لا أكْتَرِث

لستُ أدري إن كان ما أعيشه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ينتمي لحياةِ الما قبل

أو لحياةِ الما بعد

الّتي شكّكتُ دائما في وُجودها

شكًّا تامًّا

لكنّي لا أكْتَرِث

أتعرّف على نفسي في عيون

الرّوبوتات الّتي أراها على الشّاشة

وأشتبه في الشّخص

الّذي يتحدّث باسمي

في أحلامي

لكنّي لا أكْتَرِث

أجد صعوبة كبيرة

في الكتابة

وأكتفي بالنّظر

والتّأمّلِ

دون طائل

والقِراءة مثل مجنون

لكنّي لا أكْتَرِث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حتمًا

تَفْرَغُ

ساعَةُ ذاكرتي الرمليّةُ

ورَقُّ قصّتي

يضيق

وكذلك

تَصْغُرُ يداي

لكنّي لا أكْتَرِث

ذلك كلّه

عاطفيَّةٌ جامحةٌ أو فِطنةٌ مُبالَغٌ فيها؟

سينتهي نهايةً سيّئة

سيّئة جدًّا

حسب الإشاعة

لكنّي لا أكْتَرِث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# قَوْلُ ما قَلَّ

لِقَوْلِ «ما قلّ»

يُنْصَحُ بالعيش «أكثر»

وعَدَمِ الإنتاج

عدم الكتابة

إلّا في حالة الفائض

لكن عندما يكون النّصُّ ناجزًا

يجب إزالة نصف الكلمات

الملوّثة منها

والباهِتة

والجوْفاء

وسَدنة النّصْب والكذب

وقِسْ على ذلك الأفكار

المدّعيّة

والخانقة

والسّوداء بدون قَرار

والوزديّة

بلا طَعْم ولا رائحة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دون نسيان فُلولِ الحَشو

من نُقَطٍ

وفَواصِلَ

وعَوارِضَ

وأقْواسَ

ومواضعاتٍ طِباعيَّة أخرى

وحينئذٍ

وهي تتّشح بكامل عُزلِها تقريبًا

وتُزيِك ببساطتها

ستحظى

هذه الجوهرة المكْنونة

بفرصة أن تقول «ما قلَّ»

النّفّاذ

الحارِق

المُشِعّ

المُفْحِم

الباتّ

النّادر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# التّفاؤل

التّفاؤل رياضةٌ

من مُستوى عالٍ

لكنّه لا يرمي إلى التفوّق

رِهانُه الوحيد أخلاقيّ

لذلك فهو لا ينتمي إلى أيّ عُصبة

لا يشارك في أيّ منافسة

لا يتوفّر لا على قاعةِ تدريب

ولا على مُدرّبٍ طَبْعًا

لا يتوصّل بدعمٍ

وليس له رُعاة

وفكرة المنتوجات المُشتقّة

الّتي يجب تسويقها لتعبئة صناديقه

الفارغة مبدئيًا

غريبةٌ عنه

التّفاؤل

غير معروف جيّدًا

عن خطأ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وغيرُ مُعتبَرٍ تعسّفًا

هل يلزم التذكير كم هُوَ مُكلِّفُ

أن يكون المرءُ

من رُوّادِه اليوم؟

العقلُ، الذّكاءُ

الحذقُ، الموضوعيّةُ

الحداثةُ، النّجوميّةُ

هي من نصيب ضِدِّهِ

وتَوْأَمِه السّياميّ

المَدْعُو

التّشاؤم

لتسْمِيّته بوُضوح

والتّفاؤل يُنعَتُ أغْلب الأوقات

بـ «الجَذِل»

ويُدانُ قبل المحاكمة

فَيَضطرُّ لِيُؤدّي دوره

أن يكون منضبطًا

وتكون له ذهنيّة قويّة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وثقافة مُحكَمَة

في التّاريخ والجغرافيا

والعلوم والأفكار

والأديان والتّقاليد

والأمراض والعقليّة الخُرافيّة

والمَخاوِف والمَوانِع

وأن يكون مستعدًّا لمواجهة جميع المواقف

وجميع الحالات المَيؤوس منها

وأن يجد كلّ مرّة الكلمة المناسبة

والمثال العِبْرَة

والحركة المُطَمْئِنَة

للحفاظ على بصيصٍ من الضّوء

في أعماق اللّيل البهيم

والتّذكير بطعم الحياة

الّذي لا مثيل له

وجمال كوكبنا

مُنقطعِ النّظير

والإنسانيّة الرّائعة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لبعض أشباهِنا

الأكثر عَددًا ممّا نظنّ

وألّا يُقصي أحدًا

من العطف والاهتمام

الأخيار والأشرار

البؤساء والأوغاد

والضّحايا

القادرين على الصّفح

أو الّذين

أصابتهم عَدوى الكراهية

ويغريهم دوز الجلّاد

التّفاؤلُ

رياضةٌ فرديّة

بدون زُملاء ولا خُصوم

دون تجهيزات خاصّة

ولسوء الحظّ

بدون جمهور

آه من عزلة المتفائل المؤمن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمُقيم للشّعائر

الضّائع في هذه الدّنيا

وكلّ يوم يتأرجح

بين مجازر الإنسان

في حقّ الإنسان

الّتي أصبحت عادية

مثل حوادث السّير

والآفات وحالات الدّمار

القاتلة بدورها

والّتي تُلْحِقُها الطبيعة

بالأحرى بالمُعدَمين

والمسحوقين

وأُضْعَف الضّعفاء

المتشبّثين كالعَلَق

بالبَقاء

بتلك الطاقة التي لا تنضب

والنابعة من قوة يَأسِهم

مُشايِعُ التفاؤل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هل سيُخبَط؟

أبدًا!

هذا الريّاضي الكبير

يفيض أحلامًا

وأحلامُه واقعيّة لدرجة

أنه عندما يفتح عينيه صباحًا

يبدأ بالشكّ جِدّيًا في الواقع

الّذي يروقه نَعتُهُ بـ «الاصطلاحي»

ألَمْ يَتَمَكَّن قَبلَ دقائق

وبمجرّدِ بَسْطِ ذِراعه

أن يوقف إغصارًا

كاد يبتلع بلادًا

وبنفخةٍ واحدةٍ

أنْ يَطْرُدَ زُمْرةً من الإباديّين

وبِنَقْفَةٍ من أصبعه

أنْ يُسقِط مستبدًّا عن عرشه

ألَمْ يجد نفسَه جالِسًا في الصّفّ الأوّل

بقاعة مَحكَمةٍ شاسعةٍ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتولّى القضاءَ فيها عبيدٌ قدماء

أَلَمْ يسافر من بلد إلى بلد

في قارّة إفريقيّة أصبحت أكثر ازدهارًا

وأكثرَ سِلْمًا

من أوروبّا وأمريكا مجتَمِعَتين

أَلَمْ يَرَ

ويقرَأْ بأُمّ عينيه

الإعلان الجديد

للحقوق المُعترفِ بها أخيرًا

لِكوْكب الأرض

وواجِبات مُستَعمِليه

النّصّ الّذي أصبَح بمثابة عقيدة

ناموسٍ كونيّ؟

وحتّى في اليقظة

كَمْ تمنّى

كَمْ حاول وهو يدخل المعْمَعة

وينزل إلى الميدان

وكم رافع ضدّ الكراهيّة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واللامبالاة والقَدريّة

ببراهين قاطعَةٍ

حسب اعتقاده

كم كَتَبَ

شِعرًا ونثرًا

لِيَلْتَمِسَ من أشباهِهِ الأعزّاء

إضافةً إلى الذكاء

والعقل والحسّ السّليم

حركاتِ القلب

وسُمُوَّ الرّوح!

ورغم ذلك

فأكثر المتفائلين إيمانًا

يمرّ هو الآخر بفترات صعبة

يفقد أعصابه

وتُحاصِرُهُ الشّكوك

ويُصيبُهُ الإحباط

حتى لَيَبلُغَ به الأمر أن يتفهَّم

قليلًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نِدَّهُ المُتشائمَ

ذا العقيدة الرّاسخة

لكنّه يخجل من ذلك

وهذا هو المشكل

وبالتّالي لا ينبس ببنت شفة

ولو كان تحت التّعذيب

فيدور في حلقة مفرغة

وفمه مُغْلقٌ بإحكام

ويلعن أيَّ شيء يتحرك

على الأرض كما في السّماء

وللحفاظ على ماء الوجه

يُعَلّقُ ابتسامة جامدة

على الشفتين

ويحتكر لوَخدِهِ أهوال الألم

في مواجهة الهمجية الزّاحفة الغازيّة

وإفلات الأقويّاء من العقاب

في مواجهة الخضوع البهيميّ

وعَمى «شعوب الهاوية»

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا، لن يغوي مع الذئاب

ولن يلتحق بجَوْقة النّائحات

لا، لن يُرجِّحَ كَفَّة

عشّاق الهباء

ورُسُلِ الفناء

لا، لن ينْحَشِر

في رَهْطِ التّائبين

الواقعيّين المُحْتالين

لا لن يُبَدِّلَ أيًّا من مواقفه

ولا أيًّا من أوصاف هَيأتِه

لا لن يتخلّى عن أيٍّ مِنْ مبادئه

الّتي سمحتْ له

حتّى لمّا كان مغلولًا

مَفْصولًا عن عالم الأحياء

بأنْ ينتميَ إلى الرّجال الأحرار

لا بدَّ من الإقرار

بأنَّ التّفاؤل لم يعُد مزدهرًا

وأهلُه باتوا قِلَّةً

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على غِرار النّخلات

والعديد من فصائل الطُّيور

ولَعَلَّ الأوان قد آنَ

للْكَفّ عن اعتباره

رياضةً من مستوى عالٍ

والقبول بكونه

مجرَّدَ تمارينَ بَدَنيّةٍ صِحّيّةٍ

مشيًا يوميًّا خفيفًا

على مَعابِرَ مُختصَرةٍ

رحلةً في الهواء الطَّلق

على هامش الطُّرق السّيّارة المُميتة

وفَيْضِ غُرورِها

نُزْهَةً في رُبوعٍ

ما زالت فيها حُصِيُّ الأمَل

سارِيةَ المفعول

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# دُموعُ الحُبّ

عُنوان فيلم مصريّ

من الثّلاثينيّات

بُطولَة محمّد عبد الوهاب ونجاة علي

شاهدْتُهُ في سنّ المراهقة

بدل المرّة ثلاثًا

شجنٌ وحبورٌ في آن

وإيمان تامّ

بما كان يجري على الشّاشة

الحُبُّ

كان مستبِدًّا

قاهِرًا

وفاتِنًا

الخَيْمَرُ

عَشِقْتُهُ

في رِحابِ مَعْبَدِ

شَيَّدْتُهُ بِكَلِماتٍ

كانت تَفْتِنُ اللّسان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبصفاء لطيف

تُعيد إحياء طيفِ

الضِّياء

أمْس

وأنا ذاهبٌ لأصلّي

وجدتُ المَعْبَدَ

مُوصَدَ الباب

لا أفهم

كنتُ قد تعَلَّمتُ

أنَّ المعابد على اختلاف المِلَلِ

تبقى مفتوحةً ليل نهار

وطيلة أيّامِ السنةِ الثلاثمائة وخمسة وستين

ماذا حدثَ

لمَعبودي

لِصنيعةِ يدي؟

قريبًا

سأبلغ السّابعة والسّبعين

ولعلّي أظمحُ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بَلْ أريد أن أعشَقَ

وأعشَقَ

كما في العشرين!

ما أنتظِرُهُ من المعشوقة

يفوق طاقتها

وألوم نفسي دون هوادة

على متطلَّبات كهذه

للتّوّ

تُخامرني

فكرة غريبة:

حِيال الحبّ

وأيضًا حِيال

العنف الشّديد

أجِدُني أعْزَلَ

فكرةٌ أخرى

مفاجئةٌ نوعًا ما:

عِندما نُحِبّ

لا نُفَكِّر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنا لا أهاب الطّغاة

ولا الموت المحتوم

ولا الفَراغ الفلكيّ

لا أخشى سِوى

ذُبول الحُبّ

لكن ما الحُبُّ

بدون عَذابِ الحُبّ؟

حامِيَةٌ

حارِقَةٌ

أَشَدُّ مُلوحَةً من ماء البحر

دموعُ الحُبِّ

تَسيحُ

من المَهْدِ إلى اللّحْدِ

مثل نوح

أَصْنَعُ

في الخيال فقط

فُلْكًا أستقبل فيها

مُمَثِّلَيْنِ اثْنَيْنِ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سَعيدَيْنِ أوْ تَعيسَيْنِ

سِيّان

من كلِّ نوعٍ عاشقٍ

والتَّتِمَّة ستكون مطابقةً

للسِّيَرِ

المقدَّسَةِ أو المدنَّسة

هكذا

كما أَنْقَذَ نوح الإنسانية

سأكون قد أنقذتُ

من الحُبّ

الخيْرَ والشَّرَّ

واللُّغزَ المُغْلَق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الرّسم

اللّوحة تَستَقبِلُني

وهي أهْوَنُ قساوةً من الصَّفحة

أضَعُ يدي على كَتِفِها

تشُدُّ على خاصِرَتي

نَزقُص

والسّاق على السّاق

في صَمْتٍ

اللّون الأسود

يفرض صَوْلتَه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# صوفِيّ!

صوفِيٌّ!

لِمَ لا؟

لكن دون ارتداء الخِزقة الخشنة

دون صِيامٍ ولا قَهْرٍ للذّات

دون أن أحرِمَ نفسي

مِن ابْنَةِ الكَرْمِ

ولا مِنْ لحمٍ طيّبٍ

مُضَهَّبٍ أو مشويٍّ

مُنبَهِرًا دائمًا وأبدًا

بالنُّسْغِ السّحريّ

الذي يدفع الأغينَ

إلى الالتقاء بالأعْيُن

ويقود حَتْمًا

إلى الالتِحام الجسديّ

بين الكائنات

صوفِيّ!

بلا إله أيِّ طائفة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بلا وطن ولا عِشرَة

وبلا استِخْدام

دومًا أجوبُ الطُرُقات

السّماويّة والضّارِبة تحت الأرض

على المَسلَك المُفضي إلى القلوب

إلى العِناق

إلى الامْتنان

على الحَبلِ المشْدود

بين أمْواج الشَّرّ

العاتيَّة

والنَبْع المُتقطِّع للْخير

صوفِيّ!

وريثٌ ومورِث

مُمْتنٌّ لشُيوخي

حُرٌّ حَدّ الشّراسة

مُتَشَبِّثٌ دومًا بالعقل

والشَّكّ

وهذا النَّزر من السخرية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الّذي يكون لي

بمثابة بَضعَةٍ للرّوح

وخَتمٍ للحقيقة

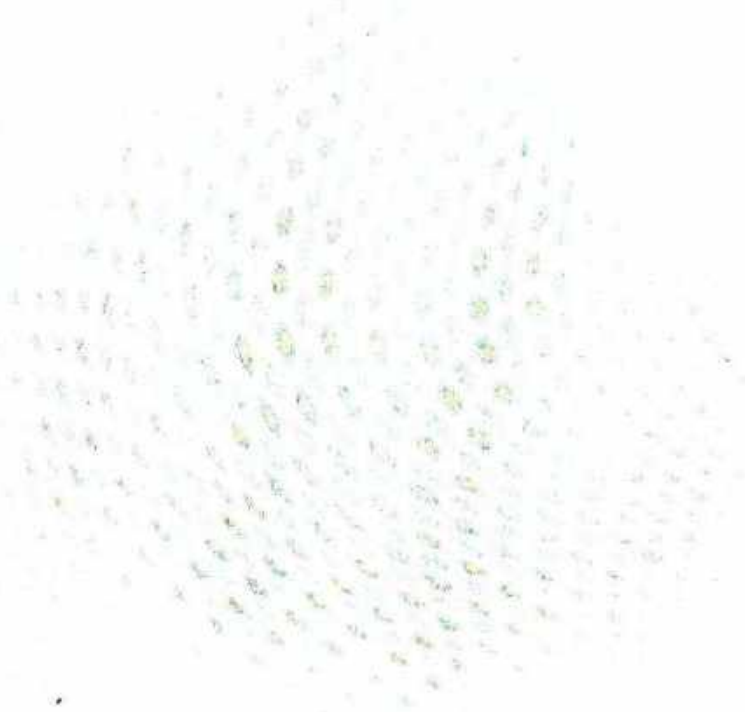

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# نِهايَة

أقرب إلى الأرض

الأرض الّتي تَحت

أقرب إلى الشّجرة

الشّجرة الّتي فوق

قَدَمُ

في هُوّة العَدَم

والأُخرى

فوق الدّرج الأوّل للّامُتناهي

وفي البَالِ

لازمةُ أغنيةٍ عتيقة

وبين اليدين

لا شيء

أمامي وخلْفي

جدارٌ عازِلٌ

وفي مُتناول النّظر

سَريرُ الموت السّافل

أفّ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# مُلحَق

يَزحَلُ الشّاعر

بخَطوٍ واثِقٍ

وغَضبٍ مُستَعِر

وثَغْرٍ باسِمٍ

السبّابة تشير دومًا

إلى الشَّرّ

والعيْنان

بالنّهَم عَيْنِهِ

وهَلُمَّ جرًّا!

وَداعًا أيّها الشّاعر

وشُكْرًا

على أيّ حال

سَفَرًا سعيدًا إلى الوِجْهة

الّتي اختَزتَها

«لامَكانًا» كما أسمَيتَها

لا بلادًا ولا كوكبًا ولا مجرّةً

شيئًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فضاءً

رغبةً من إبداعِك

تلك الأشياء كلّها

الّتي رَعيتَ دومًا

أسرارها

كريتاي، يناير 2018 /ديسمبر 2019

---

(1) يتعلّق الأمر بالرّسّام الفلسطينيّ كمال بلاّطه الّذي وُلدَ في القدس سنة 1942 وتوفي يوم 6 أغسطس 2019 في برلين.

(2) إشارة إلى عبارة «هذا ليس غليونًا» الّتي كتبها الرّسام البلجيكيّ رينيه ماغريت تحت الغليون المرسوم في لوحته الموسومة بـ»خداع الصّور» }المترجم{.

(3) بيت للشّاعر الفرنسيّ فيرلين.

(4) من مسرحيّة راسين «بيرينيس».

(5) غِيثة: والدة الشّاعر.

(6) صخر فرزات: صديق الشّاعر، الفنّان التّشكيليّ السّوريّ الّذي رحل فجأة سنة 2007.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner